المؤامرات على الأمة.. والمنح تأتي من المحن

التوحيد

بائعو الكلام..
وحائزو الأوهام

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◉ العدد ٥٣٣ السنة الخامسة والأربعون- جمادى الأولى ١٤٣٧هـ

الثمن جنيهان

البركة والسبيل إليها



منزلة الأم في الإسلام

الخوارج شر الخليقة

معرض كرتونة مجلدات التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس:٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف:٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

بائعو الكلام وحائزو الأوهام

قال ابن حسّان: «كان عندنا رجل فقير، وكان له أخ له مال كثير، مع بُخل وفير. فقال له أخوه الفقير يومًا: «ويحك، أنا فقير كثير العيال، وأنت غنّي خفيف الحِمْل، ولا تعينني على الزمان، ولا تواسيني ببعض مالك، ولا تساعدني بأي شيء؟ والله ما رأيت قط، ولا سمعت، بأبخل منك».

فقال أخوه الغني البخيل: «ويحك! ليس الأمر كما تظن، ولا المال كما تحسب، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر. والله لو أعطاني الله ألفَ ألف درهم (مليون) لوهبت لك منها خمسمائة ألف درهم (نصف المليون). يا ناس؛ اشهدوا؛ هل رأيتم رجلاً مثلي يهب خمسمائة ألف درهم دفعة واحدة يقال له بخيل»؟!

التحرير

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
منبر الحرمين: الدعاء.. فضائل وآداب وأحكام:
د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي ٢٣
البركة والسبيل إليها: أحمد صلاح ٢٨
نظرات في مدونات الإجماع: محمد عبد العزيز ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
منزلة الأم: د. عماد عيسى ٤٢
باب العقيدة: د. عبد الله شاكر ٤٦
الخوارج شر الخليقة: جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
الداعية الصابر: عبده أحمد الأقرع ٦١
باب الفقه: د. حمدي طه ٦٥
تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدين:
المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٦٩

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

موانع تكفير المُعين

الحلقة الثانية

بقلم / الرئيس العام

د / عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على من علمه الله الحكمة والكتاب وعلى آله وصحبه.. وبعد:

فأواصل الحديث- في هذا اللقاء- عن موانع تكفير المعين، وقد ذكرت فيما مضى المانع الأول، وهو: الجهل، أما المانع الثاني: فهو الخطأ، وقد اعتبره علماء أهل السنة مانعًا من موانع إطلاق التكفير على المعين، والخطأ هو: ضد الصواب، وهو الأمر الذي لم يتعمده الفاعل.

وفي لسان العرب: «المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره». (لسان العرب: ١/٦٦، ٦٧).

ومن نعمة الله على هذه الأمة أن عصمها من أن تجتمع على خطأ أو ضلالة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يجمع أمتي- أو قال: أمة محمد- على ضلالة، ويد الله على الجماعة». (صحيح سنن الترمذي ٢/٢٣٢).

ويفهم من الحديث أن آحاد الأمة غير معصومين من الخطأ، كما في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون». (وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/٣٠٥).

وقد وردت نصوص قرآنية ونبوية دلَّت على رفع المؤاخذة عن المخطئ وإعذاره فيما وقع فيه ومن ذلك، قول الله تبارك وتعالى: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا» (البقرة:٢٨٦). وهذا دعاء من المؤمنين وتضرُّع لربهم حتى لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ، وقد استجاب الله دعاءهم، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: «وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ» (البقرة:٢٨٤)، قال: دخل قلوبهم منها شيء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا». قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا» (البقرة:٢٨٦)، قال: قد فعلت. (رواه مسلم: ١٢٦).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: «وفعلاً قد عفا عنهم في النسيان والخطأ، وخفف عنهم في

التشريع». (أيسر التفاسير ١/ ٢٨٠).

وقد فرقت النصوص القرآنية بين قتل العمد وقتل الخطأ، فقال تعالى في العمد: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٩٣). وقال في الخطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾ (النساء:٩٢)، ويلاحظ الفرق الكبير بين العمد والخطأ في الإثم والوعيد والأحكام المترتبة على كل، وسبب نزول الآية يدل على ذلك، وقد ذكر ابن كثير عن مجاهد وغيره أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه، وذلك أنه قتل رجلاً كان يعذبه مع أخيه على الإسلام، وهو الحارث بن يزيد الغامدي، فأضمر له عياش السوء، فأسلم ذلك الرجل وهاجر وعياش لا يشعر، فلما كان يوم الفتح رآه، فظن أنه على دينه، فحمل عليه فقتله، فأنزل الله هذه الآية. (تفسير ابن كثير ١/ ٧٣٤).

وقال القاسمي: «أي: ما جاز ولا صح لمؤمن قتل أخيه المؤمن، فإن الإيمان زاجر عن ذلك، إلا على وجه الخطأ، فإنه ربما وقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية». (تفسير القاسمي ١٤٤٢/٥).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». (صحيح سنن ابن ماجة ٣٤٨/١).

وقد ذكر الإمام النووي هذا الحديث في الأربعين، وشرحه ابن رجب وذكر كلامًا نفيسًا حوله وضمنه بعض الأحكام التي يحسن ذكر بعضها هنا، منها قوله: «الخطأ: هو أن يقصد بفعله شيئًا فيصادف فعله غير ما قصده، مثل: أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلمًا، والنسيان: أن يكون ذاكر الشيء فينساه عند الفعل، وكلاهما معفوٌّ عنه، يعني: لا إثم فيه، ولكن رفع الإثم لا ينافي أن يترتب على نسيانه حكم، كما أن من نسي الوضوء وصلى ظانًا أنه متطهر فلا إثم عليه بذلك، ثم إن تبين له أنه كان قد صلى بغير طهارة فإن عليه الإعادة». (جامع العلوم والحكم ص٥٥٨).

قلت: وهذا تمامًا ما ذكرته الآية السابقة في حكم قتل الخطأ، فإن الخطأ مع رفعه إلا أن الآية أوجبت كفارة على هذا الخطأ كما ذكر فيها، وقد عذر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي نطق بكلمة الكفر مخطئًا بسبب شدة فرحه، كما أخرج مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة يضجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، وأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». (مسلم: ٢٧٤٧).

فهذا الرجل قال كلمة كبيرة عظيمة عندما نسب الربوبية لنفسه، والعبودية لربه، وهذا كفر صريح، ولكنه هنا لا يكفر لخطئه وعدم قصده. يقول ابن تيمية: «وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ خطأه يكفر ولا يفسق، بل ولا يأثم، فإن الله تعالى قال في دعاء المؤمنين: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا». وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال: قد فعلت». (مجموع الفتاوى ١٠٠/٣٥).

وأود التنبيه هنا إلى أمر مهم وهو: أنه يجب على العبد بذل الوسع والطاقة في اتباع القرآن والسنة مع حسن القصد وسلامة النية والحرص على الطاعة، فإن أخطأ بعد ذلك فهو معذور- إن شاء الله-، وفي ذلك يقول ابن تيمية: «فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلاً، أو لتعديه حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله، فهو الظالم لنفسه، وهو من أهل الوعيد، بخلاف المجتهد في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنًا وظاهرًا الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا مغفور له خطؤه». (مجموع الفتاوى ٣١٧/٣).

وقال ابن الوزير رحمه الله: «ولذلك أجمعت الأمة على العفو عن المجتهدين من أئمة العلم في معرفة أحكام الدماء والقتل في الحدود والقصاص في مسائل الفروع المختلف فيها المعمول فيها بأقوالهم كالخلاف في قتل تارك الصلاة وقتل الحر بالعبد ونحو ذلك، حيث لم يكن الهوى سبب اختلافهم وظهر منهم التحري في الصواب، وبذل الجهد في تعرفه وتوفية الاجتهاد حقه». (إيثار الحق على الخلق ص٤١٤).

ويمكن أن يستدل على ذلك بما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥)، فالآية بينت أن الله رفع الحرج والإثم عن المخطئ بخلاف المتعمد.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ﴾ (الأحزاب:٥). أي: إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع، فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه. (تفسير ابن كثير ٦٣٣/٣).

وقد دلت السنة النبوية على أن العبد إذا قام بفعل مشروع نافع له، ولكنه وضعه في غير موضعه خطأ فإنه يؤجر ويثاب كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ. لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ. قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ. لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ. فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ». (مسلم: ١٠٢٢).

وقد بوّب لهذا الحديث بقوله: «باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد فاسق ونحوه». قال النووي: «وفيه ثبوت الثواب في الصدقة وإن كان الآخذ فاسقًا». (شرح النووي على مسلم ١١٠/٧).

والحديث دليل صريح وواضح في أن المخطئ معذور مأجور على فعله بعد بذل الجهد في اتباع الحق وتحريه، وهذا لا يكون إلا لمن كانت أصولهم صحيحة وعلى منهج أهل السنة والجماعة، أما أهل الأهواء والبدع فلا عذر لهم ولا كرامة، وقد درج أئمة أهل العلم على ذلك، وللحافظ الذهبي رحمه الله كلام دقيق حول هذا المعنى ذكره في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وفيه يقول: «وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، والكمال للرسل، والحجة في الإجماع، فرحم الله امرأ تكلم في العلماء بعلم، أو صمت بحلم، وأمعن في مضايق أقاويلهم بتؤدة وفهم، ثم استغفر لهم ووسع نطاق المعذرة، وإلا فهو لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، وإن أنت عذرك كبار الأئمة في معضلاتهم، ولا تعذر ابن تيمية في مفرداته، فقد أقررت على نفسك بالهوى وعدم الإنصاف، بل مسائله المقررة يحتج لها بالقرآن أو بالحديث، أو بالقياس ويبرهنها ويناظر عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث أسوة بمن تقدمه من الأئمة، فإن كان قد أخطأ فيها فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب فله أجران، وإنما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى ولم يُبد حجة، ورجل تكلم في مسألة بلا علم، ولا توسع في نقل، فنعوذ بالله من الهوى والجهل». (تاريخ الإسلام للحافظ للذهبي ٢٢٥/٥٣).

ويقرر الإمام ابن القيم ذلك بفقه ووضوح، فيقول: «ولا بد من أمرين أحدهما أعظم من الآخر: وهو النصيحة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه ودينه، وتنزيهه عن الأقوال الباطلة المناقضة لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الهدى والبيان.

والثاني: معرفة أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها لا يوجب اطراح أقوالهم جملة، وتنقصهم والوقيعة فيهم.

فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل

بينهما، فلا نؤثم ولا نعصم، ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدر صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل ومأجور باجتهاده، فلا يجوز أن يُتَّبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين». (إعلام الموقعين ٣/ ٢٩٤، ٢٩٥).

ولعل القارئ الكريم يلحظ من كلام هؤلاء الأئمة الأعلام أن المخطئ لا يُتابع على خطئه، بل يجب أن يبين الحق له مع رعاية مكانته وقدره إن كان من أئمة المسلمين وعلمائهم.

وأختم حديثي هذا بقول العلامة صالح الفوزان- حفظه الله-: «نأخذ من أقوال العلماء والفقهاء ما وافق الدليل من كتاب وسنة، ونترك ما خالف الدليل، ونعتذر للعلماء في خطئهم ونعرفهم قدرهم ولا ننقصهم، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد»، أما الجاهل أو المبتدئ في طلب العلم، فهذا ليس له اجتهاد، ولا يجوز له أن يجتهد، وهو آثم باجتهاده أخطأ أو أصاب، لأنه فعل ما ليس له فعله». (الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ص٤٧، سؤال رقم: ٢٥).

المانع الثالث العجز:

الشريعة الإسلامية مبناها على اليسر ورفع الحرج والتكليف فيها مرتبط بالاستطاعة، كما قال: « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (البقرة:٢٨٦)، وقال تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » (البقرة:١٨٥)، ومن هنا كانت الأحكام الشرعية في حالة الاضطرار مختلفة عن حالة السعة والاختيار، وهذا من حكمة أرحم الراحمين.

وعليه أقول: من عجز عن شيء من الأحكام ولم يتمكن من الإتيان به فهو معذور ولا يؤخذ بتركه، وقد فرَّق القرآن الكريم بين المستطيع القادر، وغير المستطيع العاجز، كما قال الله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا » (النساء:٩٧-٩٩). قال ابن كثير: «إلا المستضعفين» إلى آخر الآية: هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال: «لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً»، وقوله تعالى: «فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ » أي: يتجاوز الله عنهم بترك الهجرة، وعسى من الله موجبة. (تفسير ابن كثير: ١/ ٧٤٦).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وفي الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور من واجب وغيره فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج»، وقال في عموم الأوامر: «فاتقوا الله ما استطعتم»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم». ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده، وانسدت عليه أبواب الحيل. (تيسير الكريم الرحمن ٢/ ١٣٩).

ويقول ابن تيمية: «والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعض، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله، كمن انقطع عن العلم بجميع الدين، أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً». (مجموع الفتاوى ٢٠/ ٥٩).

ويقول في موطن آخر: «فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه؛ إما لعدم تمكنه من العلم، مثل ألا تبلغه الرسالة، أو لعدم تمكنه من العمل، لم يكن مأمورًا بما يعجز عنه، ولم يكن ذلك من الإيمان والدين الواجب في حقه، وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل، بمنزلة صلاة المريض، والخائف والمستحاضة وسائر أهل الأعذار الذين يعجزون عن إتمام الصلاة، فإن صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه». (المرجع السابق: ص٤٧٨، ٤٧٩).

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى.



مؤامـــرات على الأمة... ومنـــح تأتي من المحـــن

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الكبير المتعال، له الحمد على كل حال، وله الشكر بالغدوّ والآصال، وبعدُ:

لعل المسلمين في ثنايا هذه العصور المتأخرة هم أكثر الناس آلامًا، وأوسعهم جراحًا، ولعل أرضهم وديارهم وأموالهم هي التي يستنسر بها البغاث، وتستأسد الحمر، والمسلمون مع ذلك يتجرعون هذه الجراحات في صياصيهم وهم لا يكادون يسيغونها، ويحملون معها أثقالًا إلى أثقالهم، إنهم يدعون إلى الاستكانة والاستجداء دعاء، وتتقاذفهم مضارب الغالبين.

والأمة ما زالت تتعرض للمؤامرات الشرسة من الداخل والخارج في مسلسل متناغم لتفتيت كيان الأمة، وهدم ثوابتها، والهجمة الشرسة التي يتعرض لها الأزهر الشريف، من أصحاب القلوب المريضة، والأهداف الخبيثة، يُراد منها تشويه هذا الصرح الإسلامي، الذي يشع بإطلالته الإسلامية الوسطية السمحة على العالم أجمع، تعدت هذه الهجمة الأزهر الشريف إلى الطعن والتجريح في ثوابت هذا الدين، ومذاهب أهل السنة والجماعة المجسّدة لهوية الأمة الإسلامية، والدعوة إلى إحراق هذا التراث، وإهانة الأئمة والأعلام العدول الذين أسهموا في ابداعه، وحرب شرسة على الإسلام وتراثه الفكري، تحالفت فيها تيارات فكرية علمانية وماركسية، وأصحاب أفكار وعقائد مشبوهة، وفضائيات وصحف ومجلات في هجومها على الأزهر الشريف في مؤامرة دنيئة يراد منها هدم ثوابت الأمة، في نفس الوقت الذي تشعل فيه أطراف المؤامرة وتنشرها في كل البقاع الإسلامية من سوريا إلى العراق، ومن اليمن إلى ليبيا، وصراع تركي إيراني في غيبة العرب لتقاسم النفوذ، وتغليب لغة المصالح لتفتيت تلك الدول، وإشعال نيران الحروب والتطهير العرقي الذي يأتي منسجمًا مع خطة التطهير والتقسيم الموضوعة بليل، ومؤامرة التقسيم في الشرق الأوسط تبدو خيوطها واضحة قيد التنفيذ، والهدف شرق أوسط مفتت!! ودويلات تتصارع وتتقاتل حتى تصبح هشيمًا يذروه الرياح!! وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

الهجوم على الأزهر الشريف.. وثوابت الدين الحنيف

لا شك أن المفسدين في كل عصر هم أعوان إبليس، وجنده من الإنس والجن، يسيرون على دربه ويقتفون أثره، وينتهجون سيرته في إفساد بني آدم، حيث يتعرض الأزهر الشريف لهجمة ممنهجة من أعداء الدين والوطن المغرضين لهدم الأزهر الذي يمثل الحصن الحصين للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ففي ظاهرة غير مسبوقة يتعرض الأزهر الشريف في

السنوات الأخيرة لحملة شرسة، تجاوزت تحميله- ظلمًا وعدوانًا- مسئولية بروز ظاهرة العنف العشوائي التي تروع الآمنين، وتُستخدم القوة لفرض الآراء، وتجاوزت ذلك إلى تجريح ثوابت الإسلام، والطعن في التراث الفكري والحضاري، الذي جعل من أمتنا العالم الأولى على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون، والذي استلهمته أوربا في بناء نهضتها الحديثة.

إن هذه الحملة الظالمة تأتي نتاجًا لبروز ظاهرة «الإسلام فوبيا» في الغرب حتى كأنهما جناحان لنزعة كراهية الإسلام وتشويه صورته، وتزييف تراثه الذي كان الأزهر ولا يزال حارسه الأمين على امتداد تاريخ هذا المعهد العريق، ولقد تجاوز الأمر كل ألوان النقد إلى الطعن الفج في ثوابت التراث، ومذاهب أهل السنة والجماعة المجسدة لهوية الأمة، وتميزها الحضاري، بالدعوة إلى إحراق هذا التراث وإهانة الأئمة الأعلام العدول الذين أسهموا في إبداعه وفي حمله جيلاً بعد جيل.

وتقف وراء تلك الحملة فضائيات تصف كتب التراث الإسلامي التي قامت على خدمة الكتاب والسنة بأنها كُتب «النفايات البشرية»، التي مَثَّلَتْ لعنة حلت على الأمة، والتي يجب حرقها ودفنها، ومجلات ثقافية تتهم أئمة الإسلام بأنهم أئمة الثقافة التكفيرية، وتعدّ الأئمة كالشافعي ومالك وأبي حنيفة وابن حنبل والبخاري والشهرستاني، وأمثالهم في زمرة التكفيريين!!

إن تلك الحملة الشرسة التي يقودها فريق من الكارهين للأزهر الشريف، من أصحاب التيارات التي تتمنى أن ينقلب الشرق يومًا إلى جزء من الغرب يحاكي ثقافته وحضارته وقيمه التي لا يُراعى فيها دين ولا خلق، وهؤلاء لا يبكون قليلاً ولا كثيرًا على الفروق العلمية والتكنولوجية والسلوكية بيننا وبينهم، ويعتبرون أن الأزهر هو العقبة الكئود التي تقف في طريق تحقيق أحلامهم.

وهناك فريق آخر يتشدد في التدين، ويرى أن الأزهر بوسطيته لا يحقق الصورة التي يَحْلُم بها من طريقة التدين، وهي طريقة فرض أمور على الناس تنحصر في الشكليات لا أكثر ولا أقل، ولا يعنيهم العلم ولا تقدم المسلمين ولا قوتهم ولا اقتصادهم، ومن ثم فكلاهما مُفْرِطٌ ومُفرِّط يرون أن الأزهر حجر عثرة في سبيل تحقيق أحلامهم المريضة؛ لأن المتشدد لا يقل في أحلامه مرضًا عن المُتميع الذي يريد أن يميّع المجتمع، وكلا الفريقين خطرٌ على الإسلام، وعلى وسطيته، والأزهر هو ضمير الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا على مدار ما يزيد على الألف عام شاء هؤلاء المتطرفون والمتميعون أم أبوا.

والنبي صلى الله عليه وسلم حذرنا من اتباع الآراء الشاذة، وأمرنا بما يوافق الشرع، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدَثات الأمور؛ فإن كل محدَثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

المولى سبحانه يقدّر المحن والابتلاءات ليظهر علمه للناس

وقد سبقت كلمة الله التي لا مردّ لها ولا مخالف أنّ عباده المدافعين عن الحق هم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم نصرًا عزيزًا، يتمكنون فيه من إقامة دينهم، إلاّ أنه سبحانه قدّر محنًا وابتلاءات لِيُظهر علمه في الناس، فيجازيهم بما ظهر منهم في عالم الشهادة، لا بما يعلمه سبحانه في عالم الغيب، لأنهم قد يحتجون على الله بأنهم لو ابتلوا لثبتُوا، لذلك قال سبحانه وتعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ» (محمد:٣١).

قال ابن عباس: «حتى نعلم أي: حتى نُميِّز»، وقد صدق رضي الله عنه، فالابتلاء بالسراء والضراء، وبالنعماء والبأساء، وبالسعة والضيق، وبالفرج والكرب.. كلها مواقف وحالات تكشف عما هو مخبوءٌ من معادن النفوس، وما هو مجهول من أمرها حتى لأصحابها، فالفتن كاشفة كما يقول الحكماء.

ومما لا شك فيه أن الكارهين للإسلام الحاقدين على أهله مهما كتموا حقدهم وأخفوا كرههم فإن الله تعالى مُطْلِعٌ أهل الحق على بعضه، قال تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ» (محمد:٢٩)، وهذا ظنٌ لا يليق بحكمة الله عالم الغيب والشهادة الذي يَعْلَمُ السِّر وأخفى، بل سيوضح أمرهم ويفضح شأنهم حتى يفهم ذوو البصائر، فإنه ما أسرّ عبدٌ سريرةً إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، وما أسر أحدٌ سريرةً إلا كساه الله رداءها إن خيرًا فخير، وإنْ شرًا فشر.

فمن قنط من رحمته، وأيس من روحه، فقد ظنَّ به ظنَّ السوء.

جرس الإنذار: فاتورة الحرب على سوريا، وخطة التقسيم والتهجير!!

تتابع المؤامرات على الأمة من الداخل والخارج، فبينما تجري

خطة تقسيم سوريا بموافقة صريحة من نظام الأسد العلوي، وبدعم عسكري مباشر من إيران وروسيا، وتخطيط أمريكي، والخطة ليست جديدة على نظام الأسد، وطالما وصفها المراقبون بالخطة البديلة لديه في حال لم يستطع استعادة السيطرة على كامل سوريا، وتتضمن تقسيم سوريا إلى خمس دويلات جديدة، ودولة شيعية، ودولة كردية، كما سيؤدي التقسيم إلى استحداث دولة لبشار الأسد يطلق عليها دولة العلويين، أما الدولة السنية فالأرجح أنها ستنقسم إلى قسمين: القسم الأول: يمثل تنظيم داعش في المناطق الخاضعة له في كل من سوريا والعراق، بينما الجزء الثاني ستمثله جبهات المعارضة السورية المسلحة.

وقد بدأ الخطر بسياسة التهجير التي اتبعها الأسد بشن حملته العسكرية في شهر يوليو من العام الماضي بمساندة الميلشيات الشيعية، والحرس الثوري الإيراني ومقاتلي حزب الله لمحاصرة السنة في ريف دمشق وحمص والحدود اللبنانية وتهجيرهم، في محاولة لتوزيع ديمجرافي جديد بعد أن دمروا المدن عن بكرة أبيها، وحرقوا الأراضي الزراعية، وقطعوا أشجارها، وتم تهجير أهالي البلدان من ذات الأغلبية السنية من مدنهم، وتضييق الخناق عليهم، وقد تم تهجير نحو ٤٠ ألفاً من السنة في ريف دمشق إلى مضايا، وقد خضعت البلدة لحصار قاسٍ ومستمر منذ أكثر من ستة أشهر، ومن قبل مضايا كانت مدينة الزبداني، والقصير وغيرها، وكلها بلدات تولى حزب الله السيطرة عليها مع قوات النظام السوري في مخطط واضح ومؤامرة مدعومة من قوى الظلام في الغرب وأمريكا وإيران وروسيا لإيجاد شريط ممتد من دمشق حتى حمص وحماة وصولاً إلى اللاذقية يخلو من وجود أهل السنة!!

ويعلن الأسد الخطة على الملأ، ففي إحدى اللقاءات التليفزيونية حيث قال: «إن الوطن ليس لمن يسكن فيه، ويحمل جواز سفره، وإنما لمن يدافع عنه ويحميه».

وتعتبر إيران اللاعب الأكبر في هذه اللعبة؛ إذ إنها تخطط لبشار الأسد، وتقدم له الدعم الكامل من مقاتلين وأسلحة زعمًا بأن سوريا من المحافظات الإيرانية!!

فاتورة الحرب في سوريا ٣٥ مليار تدفعها دول المنطقة

ناقوس الخطر ينذر بإنفاذ المؤامرة، وتخريب اقتصاديات دول الجوار العربية؛ تنفيذًا لخيوط المؤامرة العنكبوتية إذ أعلن البنك الدولي في تقديرات نشرها عن أن التكلفة الاقتصادية للحرب في سوريا وانعكاساتها على دول المنطقة بلغت ٣٥ مليار دولار، وتشمل هذه التكلفة خسائر الاقتصاد السوري وخمس دول مجاورة هي العراق ومصر ولبنان والأردن وتركيا، التي تأثرت بدرجات متفاوتة مباشرة من النزاع السوري الذي خلف نحو ٢٦٠ ألف قتيل في خمس سنوات، ولا تشمل هذه التكلفة الموارد التي خصصتها دول الجوار لسوريا لتقديم الخدمات الأساسية والمعيشية للاجئين الذين تدفقوا خصوصًا على لبنان والأردن بحسب تقرير البنك الدولي.

وقدر البنك الدولي تكلفة اللاجئين سنويًا على لبنان وحدها بـ ٢,٥ مليار دولار، وقال التقرير: إن أغنى مصدِّري البترول في المنطقة وهم السعودية وقطر والكويت والإمارات لديهم احتياطيات كبيرة تمكنهم من مواجهة العجز خلال السنوات المقبلة، ولكن بتدني الإيرادات لانخفاض أسعار البترول فإن تلك الدول قد تستنفد احتياطياتها بحلول نهاية هذا العقد.

الصراع الإيراني التركي.. وسط غيبة العرب!!

وفي مقال نشرته جريدة القدس العربي بعنوان: «أين العرب من الصراع التركي الإيراني في العراق؟!»، قالت فيه: إن موقف تركيا هو ما يقلق إيران وحلفاءها الطائفيين، بما فيه الحليف الطائفي الجديد بوتين، الذي يدعي تخوفه مما يسميه «الإرهاب الإسلامي» في روسيا والقوقاز والشيشان وغيرهما، وهو بذلك يكشف عن تحالفه الطائفي مع إيران ضد المسلمين السنة في تلك البلاد.

وقال الكاتب: إن إيران تنظر إلى العراق كجزء من الإمبراطورية الفارسية أولاً، وتنظر لها كمعبر رئيس إلى مناطق نفوذها المستقبلية، سواءً إلى جنوب العراق في الجزيرة العربية أو إلى غربه في بلاد الشام، وإلى شماله في تركيا، والمناطق السنية العربية في محافظة ديالي هي المعبر الرئيس للسيطرة على العاصمة العراقية بغداد، التي من خلالها تهيمن على القرار العراقي بالكامل، ولذلك فإن إيران وفيلق الحشد الشيعي التابع للحرس الثوري الإيراني يحارب بكل قسوة ضد تمكين أهل السنة في المستوى السياسي أولاً، وضد التمكين في المستوى العسكري ثانيًا، ولذلك تتلاعب إيران بكل التركيبة السياسية في العراق وحكومته، فوزير الدفاع العراقي السني لم يستطع منع الحشد الشيعي من دخول ديالي والمقدادية، فضلاً عن أن يستطيع منعها من ارتكاب الموبقات وانتهاك الحرمات فيها ضد أهل السنة؛ وذلك لأن إيران لا تسمح له إلا أن يكون وزيرًا على الورق، وأمريكا تعلم ذلك

من خلال التفاهمات مع المصالح الإيرانية.

إن دعم العرب السنة في العراق ينبغي أن يكون مسئولية العرب أولاً، والأتراك ثانيًا، وكل المسلمين السنة في العالم ثالثًا، ولا بد من استعادة العراق، ووقف تنفيذ باقي أطراف المؤامرة!!

النجيفي يؤكد على الدور الإيراني الخبيث في العراق

وتأكيدًا على الدور الإيراني الخبيث في العراق يكشف مسئول عراقي سابق عن معلومات مهمة بشأن سقوط مدينة الموصل العراقية في بيد تنظيم داعش، مؤكدًا على الدور الإيراني الخبيث وتهديداته للمساومة على المدينة قبل سقوطها.

فقد أكد رئيس البرلمان العراقي السابق أسامة النجيفي أن مسئولاً إيرانيًا هدده قبل سقوط مدينة الموصل شمالي العراق في يد التنظيم في يونيه ٢٠١٤م بأربعة أيام، إما بالتعاون مع طهران، أو أن تسقط المدينة في يد تنظيم الدولة الداعشي.

وأوضح في مكالمة نشرت له: «إن مسئولاً بحزب الله ساومه أيضًا على دور لإيران في العراق مقابل تحرير الموصل من تنظيم الدولة.

ورفض النجيفي وهو شقيق محافظ نينوى المُقال مؤخرًا أثيل النجيفي، أن تدخل الحشد الشيعي في عملية استعادة الموصل، مؤكدًا أن السياسة الطائفية للحكومة العراقية كانت سببًا في سيطرة داعش على الموصل.

عدم وجود مراجعات فكرية للعائدين من داعش

قال مرصد الأزهر الشريف في أحدث تقاريره: «إن هناك تزايدًا في أعداد المنشقين عن داعش، والعائدين لأوطانهم، نتيجة خيبة أملهم في التنظيم الإرهابي بعد أن عاينوا سلوكه على أرض الواقع، وإن المعالجة الأمنية والقانونية والقضائية هي المسيطرة على الدول الأوروبية، في تعاطيها مع قضية اللاجئين إلى أوطانهم، مشيرًا إلى عدم وجود أي مراجعات فكرية وفقهية للعائدين بهدف تصحيح مسارهم الفكري».

وأوضح المرصد في تقريره أنه لا يقتصر الانضمام لتنظيم داعش على الشباب المسلم في دول المشرق العربي الإسلامي فحسب، بل إن هناك أعدادًا كبيرة من شباب أوربا وأمريكا يلتحقون بهذا التنظيم الإرهابي للقتال بين صفوفه، أو تقديم الدعم الفني والإعلامي واللوجيستي، وتحتل أوربا الغربية المرتبة الثالثة بين أكثر المناطق الجغرافية طردًا للمتطرفين المنضمين إلى داعش بتعداد وصل إلى ٥٠٠ مقاتل نهاية ٢٠١٥م، بينما تأتي منطقة الشرق الأوسط والمغرب العربي في المرتبتين الأولى والثانية، أما على مستوى الدول فتأتي تونس كأعلى دولة من حيث عدد المقاتلين المنضمين إلى داعش منها بتعداد وصل ٦٠٠٠ مقاتل، ثم السعودية ٢٥٠٠ مقاتل، ثم روسيا ٢٤٠٠، ثم تركيا ٢١٠٠، ثم الأردن ٢٠٠٠، وعلى مستوى أوربا الغربية تأتي فرنسا في المقدمة بتعداد ١٧٠٠ مقاتل، ثم بريطانيا وألمانيا بتعداد ٧٦٠ مقاتل لكل منهما.

مؤامرات على الأمة.. ومع المحن تأتي من المنح

تمر على الإنسان في حياته مواقف كثيرة، يتعرض في بعضها للأذى والضيق، وفي بعضها للرفعة والسعة، وقد يتخذ في بعضها القرارات التي يعتقد أنها صائبة، فيفرح بتحصيل شيء ويحزن على ضياع شيء، وهو لا يعلم الخير على وجه الحقيقة، فقد يجلب لنفسه شرًا وهو لا يعلم، وقد يُبعد عن نفسه خيرًا وهو لا يعلم، وهو من جراء حكمه على المواقف والأحداث بالظاهر، ومن قلة علمه بالغيب والباطن، فالله هو المستأثر بعلم الغيب، ولو علمه أحد من البشر لاستكثر من الخير وأبعد عن نفسه الشر، قال الله تعالى على لسان نبيه: «وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ» (الأعراف:١٨٨).

وقد علم الله تعالى المسلمين ألا يحزنوا على ما فاتهم من متاع الدنيا الزائل، وألا يفرحوا بجلب هذا المتاع وذلك في قوله تعالى: «لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (الحديد: ٢٣)، وهذا لا يعني أن يترك الإنسان السعي، بل عليه أن يسعى في تحقيق المطالب المباحة لنفسه، وهذا مطلوب، فهو لا يعلم في أي شيء يكون الخير، وفي أي شيء يكون الشر، وبخاصة الابتلاءات والأمور القدرية التي ليس للإنسان دخل فيها.

وكم من أناس رزقهم الله المال فكان سببًا في بلائهم؛ لأنهم لم يراعوا حق الله فيه، فالعبرة هاهنا أن الإنسان قد يحب الشيء ويكون فيه هلاكه، وقد يكره الشيء ويكون فيه صحته وعافيته، قال الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٢١٦)، ودائمًا من المحن تأتي المنح.

فاللهم انصر دينك وكتابك، وثبت عبادك المؤمنين، وألف بين قلوبهم، واجمع كلمتهم، وشتت شمل أعدائهم، واجعل الدائرة عليهم يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الدخان

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحلقة الرابعة

قال تعالى: « إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ
الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِنْ رَبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ »

(الدخان: ٤٣- ٥٩).

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد:

عذاب النار:

« إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ
يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ
سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ
﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ
بِهِ تَمْتَرُونَ »:

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ هِيَ الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ

الْكَرِيمِ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: « إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ » (الصافات: ٦٥)، يَأْكُلُ مِنْهَا الأَثِيمُ، الَّذِي ارْتَكَبَ الإِثْمَ، بِتَرْكِهِ الْوَاجِبَ، وَانْتِهَاكِهِ الْمُحَرَّمَ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْكَافِرُونَ، الْمُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ » (الواقعة: ٤٥- ٥٦).

ثُمَّ يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَفْعَلُ الزَّقُّومُ فِي الْبُطُونِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: « كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ » وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِذَا طَعِمَهَا الْكَافِرُ صَارَتْ فِي جَوْفِهِ تَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ الْمُهْلُ السَّخِنُ مِنَ الإِحْرَاقِ وَالْفَسَادِ.

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِزَبَانِيَةِ النَّارِ: « خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ » أَيْ خُذُوهُ فَادْفَعُوهُ دَفْعًا قَوِيًا، وَسُوقُوهُ سَوْقًا شَدِيدًا، إِلَى أَصْلِ الْجَحِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا » (الطور: ١٣). « ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ » وَهُوَ الْمَاءُ الْمَغْلِيُّ الَّذِي اشْتَدَّتْ دَرَجَةُ غَلَيَانِهِ. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَفْعَلُهُ الْحَمِيمُ بِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: « يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ » (الحج: ١٩- ٢٠).

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَأْنِيبًا، وَسُخْرِيَةً وَاسْتِهْزَاءً: « ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ »، يَعْنِي إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي ذُقْتُمُوهُ هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَتَسْتَبْعِدُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (الطور: ١٣- ١٦)، وَقَالَ تَعَالَى: « وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ » (السجدة: ٢٠)، وَقَالَ تَعَالَى: « فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ » (سبأ: ٤٢).

نعيم الجنة:

وَعَلَى طَرِيقَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ التَّرْهِيبِ وَالتَّرْغِيبِ، لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الأَشْقِيَاءِ أَهْلِ النَّارِ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ حَالِ السُّعَدَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى: « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦)

فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »:

الْمُتَّقُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْعَقِيدَةِ الصَّالِحَةِ، السَّلِيمَةِ مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ، وَأَصْحَابُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، السَّلِيمِ مِنْ شَوَائِبِ الْبِدْعَةِ، قَالَ تَعَالَى: « لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ » وَهَذِهِ هِيَ الْعَقِيدَةُ، « وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ » وَهَذِهِ هِيَ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (البقرة: ١٧٧).

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ » يَأْمَنُونَ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَا يَخَافُونَ وَيَحْذَرُونَ، يَأْمَنُونَ مِنَ الْمَوْتِ، وَيَأْمَنُونَ مِنَ النَّصَبِ وَالتَّعَبِ، وَيَأْمَنُونَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، فَهُمْ فِي أَمَانٍ تَامٍّ، وَأَمْنٍ كَامِلٍ.

« فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ » هَذَا بَدَلٌ مِنَ الْمَقَامِ الأَمِينِ، فَهُمْ فِي جَنَّاتٍ وَحَدَائِقَ وَبَسَاتِينَ، فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، وَعُيُونٍ وَأَنْهَارٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ » (محمد: ١٥).

وَلَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ طَعَامَهُمْ وَشَرَابَهُمْ ذَكَرَ ثِيَابَهُمْ، فَقَالَ: « يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ »: السُّنْدُسُ هُوَ مَا رَقَّ مِنَ الْحَرِيرِ، وَالإِسْتَبْرَقُ مَا غَلُظَ مِنْهُ. وَهُمْ فِيهَا « مُتَقَابِلِينَ » غَيْرَ مُتَدَابِرِينَ، وَذَلِكَ لِكَمَالِ الْمَحَبَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ » (الحجر: ٤٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: « كَذَلِكَ » أَيِ الأَمْرُ كَمَا وَصَفْنَا، « وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ » أَيْ وَكَمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ بِمَا ذَكَرْنَا كَذَلِكَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ بِزَوْجَاتٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ. قَالُوا: سُمِّينَ حُورًا لأَنَّ الْعَيْنَ تَحَارُ فِي وَصْفِ حُسْنِهِنَّ، فَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَصِفَ جَمَالَهُنَّ وَحُسْنَهُنَّ. كَيْفَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ، لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)). (صحيح البخاري ٦٥٦٨)

وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي وَصْفِهِنَّ:

تَفَكَّهُ مِنْهَا الْعَيْنُ عِنْدَ اجْتِلاَئِهَا
فَوَاكِهُ شَتَّى طَلْعُهَا لَيْسَ يُعْدَمُ
عَنَاقِيدُ مِنْ كَرْمٍ وَتُفَّاحُ جَنَّةٍ
وَرُمَّانُ أَغْصَانٍ بِهِ الْقَلْبُ مُغْرَمُ
وَلِلْوَرْدِ مَا قَدْ أَلْبَسَتْهُ خُدُودُهَا
وَلِلْخَمْرِ مَا قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ وَالْفَمُ
تَقَسَّمَ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ
فَيَا عَجَبًا مِنْ وَاحِدٍ يَتَقَسَّمُ
لَهَا فِرَقٌ شَتَّى مِنَ الْحُسْنِ أَجْمَعَتْ
بِجُمْلَتِهَا إِنَّ السُّلُوَّ مُحَرَّمُ
تُذَكِّرُ بِالرَّحْمَنِ مَنْ هُوَ نَاظِرٌ
فَيَنْطِقُ بِالتَّسْبِيحِ لاَ يَتَلَعْثَمُ
إِذَا قَابَلَتْ جَيْشَ الْهُمُومِ بِوَجْهِهَا
تَوَلَّى عَلَى أَعْقَابِهِ الْجَيْشُ يُهْزَمُ

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا
فهذا زمان المهر فهو المقدم

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ص: ١١)

«يَدْعُونَ فيهَا بكُلِّ فَاكهَةٍ آمنِينَ» أيْ يطْلُبُونَ منْ خدمهمْ أنْ يأْتُوهُمْ بالْفَاكهَة، فيأْتُوهمْ بكُلِّ فاكهَة، «كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» (البقرة: ٢٥).

ولَمَّا كَانَ ذكْرُ الْمَوْت وَالْخَوْف منْهُ يُعَكِّرُ الصَّفْوَ، ويُنَغصُ الْعَيْشَ، آمَنَهُمُ اللهُ منَ الْمَوْت، فقَالَ تعَالَى: «لا يَذُوقُونَ فيهَا الْمَوْتَ إلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى» الَّتي ذاقُوهَا في دَار الدُّنْيَا، كمَا في الْحَديث:

عَنْ أَبي سَعيد الْخُدْريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((يُؤْتَى بالْمَوْت كهَيْئَة كَبْش أمْلَح، فيُنَادي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجنَّة! فيَشْرَئبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فيَقُولُ: هَلْ تَعْرفُونَ هذَا؟ فَيَقُولُونَ نعَمْ هذَا الْمَوْتُ، وكُلُّهُمْ قَدْ رَآه، ثُمَّ يُنَادي: يَا أَهْلَ النَّار، فيَشْرَئبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فيَقُولُ: هَلْ تَعْرفُونَ هذَا؟ فَيَقُولُونَ نعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّة! خُلُودٌ فلاَ مَوْتَ، ويَا أَهْلَ النَّار! خُلُودٌ فلا مَوْتَ. ثُمَّ قَرَأَ: «وأَنْذرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَة إذْ قُضيَ الأمْرُ وهُمْ في غَفْلَة» وَهَؤُلاء في غَفْلَة أَهْلُ الدُّنْيَا، «وَهُمْ لا يُؤْمنُونَ». (صحيح البخاري ٤٧٣٠).

ولَمَّا ذكَرَ مَا أنْعَمَ عليْهمْ به منْ نعيم الْجَنَّة ذكَرَ مَا أنْعَمَ عليْهمْ به منَ النَّجَاة منَ النَّار، فقَالَ تعَالَى: «ووقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحيم»، فالْوقَايَةُ منَ النَّار نعْمَةٌ، ودُخُولُ الْجَنَّة نعْمَةٌ أُخْرَى، «وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (النساء: ١٣)، كَمَا قَالَ تعَالَى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» (آل عمران: ١٨٥).

وقَوْلُهُ تعَالَى: «فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ» يعْني أنَّ مَا أنْعَمَ الله به عليْهمْ فضْلٌ، تفَضَّلَ به عليْهمْ دُونَ اسْتحْقَاقٍ لَهُ، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((سَدِّدُوا وَقَاربُوا، وَأَبْشرُوا، فَإنَّهُ لاَ يُدْخلُ أحَدًا الْجنَّةَ عَمَلُهُ)). قَالُوا: وَلاَ أنْتَ يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ: ((وَلاَ أنَا! إلاَّ أنْ يَتَغَمَّدَني اللهُ بمَغْفرَةٍ وَرَحْمَةٍ)). (صحيح مسلم ٢٨١٦).

ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تعَالَى لنَبيِّه صلى الله عليه وسلم: «فَإنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بلسَانكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أيْ إنَّمَا يَسَّرْنَا ذَلكَ الْقُرْآنَ الْكَريمَ بلسَانكَ، أيْ باللُّغَة الْعَرَبيَّة، لُغَتكَ وَلُغَة قَوْمكَ، لعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ مَا يَنْفَعُهُمْ فَيأْتُونَهُ، ومَا يَضُرُّهُمْ فيَجْتَنبُونَهُ.

«فَارْتَقبْ إنَّهُم مُرْتَقبُونَ» أيْ فَانْتَظرْ يَا نَبيَّنَا حَتَّى يَأْتيَ وَعْدُ الله لَكَ بالنَّصر وَالتَّمْكين، وَلْيَنْتَظرُوا هُمْ وَعْدَ الله لَهُمْ بالْهَزيمَة وَالْخذْلاَن.

كَمَا قَالَ تعَالَى: «فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ» (يونس: ١٠٢-١٠٣).

وبهذا ينتهي تفسير سورة الدخان، وإلى لقاء جديد مع سورة جديدة،

والحمد لله رب العالمين.



مع القصة في كتاب الله

نزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان (١٤)

موت عيسى (عليه السلام) ودفنه

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، فهو سبحانه الحي القيوم، والخلق جميعًا يموتون لا فرق في موت الخلق بين ملك مقرَّب أو نبي مرسل، وقد وجَّه الله بهذا لحبيبه ومصطفاه محمد بن عبد الله، فقال سبحانه: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ» (الزمر: ٣٠).

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

أخي الكريم: عشنا في اللقاء السابق مع طيب العيش وسعة الرزق والبركة التي وضعها الله في الأرض وأنزلها من السماء بعد نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وحكمه الأرض بالعدل، وتوحيد الكلمة والملة، فصار الدين واحدًا، والملة واحدة، والكلمة هي كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، والدين هو دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والملة هي ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، وبهذا ساد العدل وانتشر الأمن وحلت البركة في الزرع والضرع، وعاش المسلمون في أمن وأمان، وبركة ورخاء تظلهم شريعة سمحاء ويؤمهم إمام عادل، وقد فصَّلنا القول في ذلك في اللقاء السابق، واليوم بحول الله وطوله وقوته ومدده نناقش عددًا من القضايا نبدؤها بذكر النصوص الواردة:

أولا: النصوص المتعلقة بموضوع اليوم:

١- أورد الشيخ الألباني رحمه الله في كتاب قصة المسيح الدجال تحت رقم (٤٥): «فيمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون» من حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد وابن حبان وغيرهما.

٢- والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في النهاية وقال عنه: إسناده جيد: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، إنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصَّران كأن رأسه يقطر ماءً وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الأمم كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون». والشاهد هنا على موضوعنا اليوم هي العبارة الأخيرة: «فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون». وإن كان الحديث قد لخَّص قضايا كثيرة أشرنا إليها في مقالاتنا السابقة بشيء من التفصيل.

ثانيًا: قضية حياة عيسى عليه السلام وموته:

القول الفصل في حياة عيسى عليه السلام وموته هو أنه عليه السلام حيٌّ عند ربه قد رفعه الله إليه كما أخبر في كتابه الكريم، ونجاه من الصلب والقتل، ولن يموت عيسى عليه السلام إلا بعد نزوله من السماء مرة أخرى آخر الزمان كما قدمنا في الأحاديث السابقة، وسيموت عيسى عليه السلام في آخر الزمان بعد أن يبقى في

الأرض أربعين سنة على القول الراجح، وبعد أن ينتشر الإسلام والعدل والأمن والأمان في الأرض، عند ذلك يموت عيسى عليه السلام ويُغسل ويكفن ويُصلي عليه المسلمون.

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في عيسى عليه السلام من قبل، والآن وحتى آخر الزمان، ولم يخالف في ذلك من المسلمين إلا الفرق الضالة التي لا يأتي منها خير ولا يُعتد بقولها في شيء، وكذلك بعض المسلمين الذين يقدِّمون عقولهم على النصوص الصحيحة المتواترة ولم تستوعب عقولهم طلاقة القدرة الإلهية، وليتهم أعملوا عقولهم في فهم النصِّ، وما استغلق عليهم أوكلوه إلى الله وإلى أولي العلم منهم، ونحن نقول لهؤلاء الذين لم يستوعبوا أن عيسى حيٌّ عند الله لم يمت للآن، نقول لهم كما استوعبتم أن الله خلق عيسى من أم بغير أب، كذلك استوعبوا أن عيسى حي عند الله، وأنه سينزل آخر الزمان، ثم يموت بعد أن يستوفي رزقه وأجله الذي كتبه الله له، واعلموا أن الله جعل عيسى وأمه آية للعالمين، فاستوعبوها، كما قال الله تعالى: «وَالَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ» (الأنبياء: ٩١).

وهكذا شاء الله أن يجعل في ميلاد عيسى آية، وفي حياته آية، وفي المعجزات التي أجراها على يديه بإذنه سبحانه آيات، وفي رفعه إليه آية، وفي

> ”أضل الشيطان أهل الكتاب ضلالاً بعيدا في أمر عيسى عليه السلام.“

إنزاله مرة أخرى إلى الأرض آية، وفي موته بعد نزوله آية، فهي آيات واضحات تنزل على قدرة الله سبحانه ومشيئته استوعبها من استوعبها، وأضل الشيطان بها أقوامًا آخرين.

أضل الشيطان أهل الكتاب ضلالاً بعيدًا في أمر عيسى عليه السلام؛ أضل اليهود فأنكروا الآيات ونسبوها للسحر، وكفروا بعيسى عليه السلام، واتهموا أمَّه بالزنى- ولا حول ولا قوة إلا بالله- أما النصارى فكانوا على النقيض من ذلك، فقالوا: إنه الله، أو قالوا: ثالث ثلاثة، أو قالوا: هو ابن الله، وقالت طائفة الحق هو عبد الله ورسوله، ولكن هذه الطائفة غُلبت على أمرها وانتهت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله بالحق الذي كانوا فيه يمترون.

والخلاصة التي عليها أهل الحق أن عيسى عليه السلام رفعه الله إليه وهو حي عند الله الآن، وحياته حتى اليوم وإلى أن يشاء الله لا تجعله إلهًا ولا ابن الله، بل هو بشر ممن خلق الله وقد استثناه الله من الموت حتى الآن، وإلى أن يشاء لحكمة يعلمها سبحانه، كما استثنى بعض مخلوقاته من الموت لحكمة أرادها ولا يجعلها هذا الاستثناء في مصاف الآلهة، ومعلوم أن الله لم يكتب الفناء على بعض المخلوقات مثل الجنة والنار والكرسي والقلم واللوح، ولا يقول عاقل: إن هذه الأشياء آلهة.

أما عيسى عليه السلام فسيموت بعد نزوله إلى الأرض واستكمال مهمته فيها بالقضاء على مصادر الشر المتمثلة في الدجال وأتباعه من اليهود، وكسر الصليب وقتل الخنزير، وتخليص الأرض من يأجوج ومأجوج، وبعد أن تكون الملة واحدة والدعوة واحدة، وهي الإسلام، ويعم السلام والرخاء والأمن، ويبقى عيسى في الأرض أربعين سنة ثم يموت بإذن الله.

ثالثًا: الصحيح في مدة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض:

جاء في حديث أبي هريرة المذكور معنا أن مدة بقاء عيسى في الأرض أربعون سنة، وجاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي أخرجه مسلم وأحمد: «.. يخرج الدجال في أمتي، فيبعث الله عيسى ابن مريم فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنتين عداوة». والحديثان صحيحان، وللنظرة المتعجلة يظهر أن بينهما تعارضًا، والحق أنه لا تعارض بينهما للمتأمل، وخصوصًا أن هناك رواية للحديث عند الإمام أحمد فيها: «ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين

اثنين عداوة».

وقد وجَّه المحققون من أهل العلم عودة الضمير في «بعده» على عيسى عليه السلام، أي بعد موته، وإلى هذا ذهب الإمام البيهقي رحمه الله، ونقله عنه الإمام ابن كثير في النهاية: «يحتمل أن يكون قوله في حديث ابن عمرو: «ثم يلبث الناس سبع سنين» أي: بعد وفاة عيسى عليه السلام، فلا يكون مخالفًا للأول فترجح عندي هذا التأويل؛ لأن الحديث ليس نصًا في الإخبار عن مدة بقاء عيسى، وذاك نص فيها؛ لأن ثم ما يؤيد هذا التأويل، وكذلك قوله: «يلبث الناس بعده»، والضمير لعيسى؛ لأنه أقرب مذكور، ولأنه لم يرد في ذلك سوى الحديث المحتمل، ولا ثاني له، وورد في مكث عيسى أربعين سنة في عدة أحاديث من طرق مختلفة، فهذه الأحاديث المتعددة وغيرها، أولى من ذلك الحديث المحتمل». اهـ.

وهكذا يرى الإمام البيهقي ويوافقه ابن كثير أن حديث عبد الله بن عمرو ليس نصًا في الإخبار عن المدة، وهو يحتمل التأويل، أما حديث أبي هريرة وغيره فهو نص صريح في مدة بقاء عيسى عليه السلام، وحديث عبد الله بن عمرو حديث واحد محتمل، والأحاديث التي تثبت بقاء عيسى أربعين سنة كثيرة ومتعددة، وبذلك ترجح من عدة وجوه أن مدة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله وقبل موته أربعين سنة، والله أعلى وأعلم. (وليس ألف عام كما يظن أصحاب الألفيات).

"بين يدي الساعة: يبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا."

رابعًا: مكان دفن عيسى:

أين سيدفن عيسى بعد موته؟ في المدينة أم بالشام؟

هذا موضع خلاف بين أهل العلم، فقد نقل ابن كثير في النهاية عن القرطبي في آخر كتاب التذكرة أن وفاة عيسى ستكون بالمدينة النبوية، فيصلَّى عليه هناك، ويدفن في الحجرة النبوية أيضًا، وقد ذكر ذلك أبو القاسم ابن عساكر، ولم يؤكد ابن كثير هذا أو ينفيه، وقد وردت عدة أحاديث في هذا الباب لكنها ضعيفة، منها ما جاء عند عبد الله بن سلام رضي الله قال: نجد في التوراة أن عيسى ابن مريم عليه السلام يُدفن مع محمد صلى الله عليه وسلم، وقد روى البخاري في التاريخ الكبير عنه: «يدفن عيسى ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فيكون قبره رابعًا».

ولما كانت هذه الأحاديث قد ضعَّفها كثير من أهل العلم، منهم الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ العلامة الألباني، رحمهما الله، وغيرهما من السابقين، فإننا لا نستطيع أن نجزم القول بشأن مكان دفن عيسى عليه السلام بعد موته آخر الزمان أفي المدينة يدفن أم بالشام.

خامسًا: ماذا يحدث بعد موت عيسى عليه السلام:

الذي سيحدث بعد موت عيسى السلام كما ظهر من الأحاديث التي سبق بيانها أن ظاهرة الخير والأمن والأمان التي كانت في حياته ستبقى بعده سبع سنوات؛ «ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة» أي: يبقى الناس على حالة الصلاح والخير التي كانوا عليها في حياة عيسى سبع سنين بعد وفاته، ثم تتغير الأحوال ويأتي الفساد شيئًا فشيئًا.

واليك ما ورد في ذلك باختصار: «فبينما هم كذلك؛ إذ بعث الله ريحًا باردة من قبل الشام فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه، ويبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، ولا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة».

أما عن الساعة وقيامها فهذا حديث له موضع آخر، ولنا مع نبي الله عيسى عليه السلام وقفة أخيرة نتذكر فيها الخطوط العريضة والخلاصة المفيدة، إن شاء الله تعالى.

باب السنة

صلاح الرفيق

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الموت هو الحقيقة الغائبة؛ قلما يفكر فيه الناس مع أنه واقع مشاهد، فالناس يرونه كل يوم، لا يخفى على أحد، حقيقة سلم بها كل مخلوق، وأيقن بها كل إنسان، جعله الله فاصلاً بين حياتين: الحياة الدنيا والحياة الآخرة، لذا كان من الحكمة اختيار الرفيق فيه.

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحديث:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "يتبع الميت ثلاثة: أهله وعمله وماله، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله".

العزو:

رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠)، والنسائي في سننه (١٩٣٧).

الشرح:

ومعنى الحديث:

أن الرجل إذا مات تبعه إلى قبره ثلاثة: تبعه أهله، وهم أولاده وأقاربه وأهل صحبته ومعرفته، وتبعه ماله، ومنه عبيده وإماؤه ودابته، وتبعه عمله، وهو ما أسلفه من خير أو شر. فيرجع أهله وماله، ويبقى معه عمله. انظر: "مرقاة المفاتيح (٣٢٣٥/٨)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

" قَوْلُهُ (يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ) هَذَا يَقَعُ فِي الأَغْلَبِ، وَرُبَّ مَيِّت لاَ يَتْبَعُهُ إِلاَّ عَمَلُهُ فَقَطْ، وَالْمُرَادُ مَنْ يَتْبَعُ جنَازَتَهُ مِنْ أَهْله وَرُفْقَته وَدَوَابّه عَلَى مَا جَرَتْ به عَادَةُ الْعَرَب، وَإِذَا انْقَضَى أَمْرُ الْحُزْن عَلَيْه رَجَعُوا، سَوَاءٌ أَقَامُوا بَعْدَ الدَّفْن أَمْ لاَ. وَمَعْنَى بَقَاء عمله: أَنَّهُ يَدْخُل مَعَهُ الْقَبْر.

وصحبة العمل للإنسان في قبره عقيدة تواترت بها الأدلة، بل صحت الأدلة أن عمل الإنسان قد يظهر للإنسان في صورة رجل يصحبه كما وَقَعَ فِي حَديث الْبَرَاء بْن عَازب الطَّويل في صفَة الْمَسْأَلَة في الْقَبْر عنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْره، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمنَ إذَا كَانَ في انْقطَاع منْ الدُّنْيَا وَإِقْبَال منْ الآخرَة نَزَلَ إلَيْه مَلاَئكَةٌ منْ السَّمَاء... وفيه: (قَالَ: وَيَأْتيه رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْه، حَسَنُ الثّيَاب، طَيّبُ الرّيح، فَيَقُولُ: أَبْشرْ بالَّذي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ

يَجِيءُ بِالْخَيْرِ. فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي) (رواه أحمد (٣٦٢/٤) وصححه الألباني في "أحكام الجنائز" (١٥٦)).

وفي تفسيره للمال كيف يتبع صاحبه قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " قال أهل العلم رحمهم الله تعالى: هذا في الميت الذي له أرقاء يتبعونه، والأرقاء أمواله يباعون ويشترون. وقال بعض العلماء: المراد بماله هو ما يكرم من أجله، يعني أن الناس غير أقاربه وغير أهله: يخرجون معه من أجل ماله إذا كان تاجرا، فعبر بالمال عن التابعين من أجل المال... فالمعنى إما أن يقال: إن المراد بالمال العبيد الأرقاء، أو يراد بالمال ما يكرم به من أجله، وهو كثرة الناس الذين ليسوا من أهل الميت. والله أعلم". (وانظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (١٧/ ٤٢٩-٤٣٠).

التفصيل:

ولا يعنى من كلامنا أبدًا ذم الصاحبين الأوليين، ولكن نعني من كلامنا التفصيل فيهما وتوجيههما ليصيرا عملاً صالحًا وبيان ذلك ما قد بينه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة قيمة، شرح فيها هذا الحديث أفيد منها بما يلي: إن ابن آدم في الدنيا لا بد له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما، فالسعيد من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفقه في الآخرة، فأما من اتخذ أهلاً ومالاً يشغلانه عن الله تعالى، فهو خاسر، وقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ » (المنافقون: ٩).

فإذا مات ابن آدم، وانتقل من هذه الدار، لم ينتفع من أهله وماله بشيء إلا بدعاء أهله له، واستغفارهم، وما ثبت من الشرع من الصدقة عن الميت، وبما قدمه من ماله بين يديه، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

صلاح الأصحاب:

فأما الصاحب الأول: الأهل، فأهله لا ينفعه منهم بعد موته إلا كما تقدم ذكره والله أعلم، وقد لا يفعل، وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله كما قال بعض الصالحين: أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تفرد بحزنك يدعو لك، وأنت بين أطباق الثرى، فمن الأهل من هو عدو، كما قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ » (التغابن: ١٤).

تمرُّ أقاربي جنبات قبري
كأنَّ أقاربي لا يعرفوني؟!
ذوو الميراث يقتسمون مالي
ولا يألون إن جحدوا ديوني؟!
وقد أخذوا سهامَهُمُ وعاشوا
فيا لله أسرع ما نسوني؟!

وأما الصاحب الثاني: وهو المال.

روى مسلم في صحيحه من حديث مطَرف عن أبيه قال: أتيت النبي- صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ: «أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ» (التكاثر: ١)، قال: "يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟!

وروى البخاري من حديث عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه-: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: " أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر".

فالعاقل هو من قدم من ماله ما يحبه، فيفوز به في دار الإقامة، فإن من أحب شيئًا استصحبه. قال الحسن: بئس الرفيقان الدرهم والدينار؛ لا ينفعانك حتى يفارقانك!.

وقد أحسن من قال:

السقم في جسمي له تزداد
والعمر ينقص والذنوب تزادُ

وكان علي- رضي الله عنه- يقول في الليل: "آهِ من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق".

يا جامع المال ما أعددت للحُفَر
هَل يُغفل الزاد من أضحى على السفر؟!

أما الخليل الثالث: فهو العمل الذي يدخل مع صاحبه في قبره فيكون معه فيه، ومعه إذا بعث.و

معه في مواقف القيامة، وعلى الصراط، وعند الميزان، وبه تقسم المنازل في الجنة والنار، قال تعالى:
«مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» (الروم: ٤٤).

فالعمل الصالح يكون مهادًا لصاحبه بعد الموت، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد، بل كل عامل يفترش عمله ويتوسده من خير أو شر، وقال بعض السلف: اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها.

فائدتان من الحديث:

أولاً: صلاح الرفقاء باتباع الوحي (قرآنًا وسنة): وإن كانت هذه مسلمة- أي أن الإنسان لا يبقى معه في قبره أنيس إلا عمله الصالح- لذا فهو أول ما يهتم به من الرفقاء وصلاح هذا الرفيق لا يكون إلا باتباع الوحي كتابًا وسنة.

وهذا ليس معناه إهمال الرفيقين الأوليين أبدًا، بل معناه توجههما أيضًا لأن يصيرًا عملاً ينتفع به فدعاء الأهل ينتفع به الميت والولد من كسب أبيه، وما تصدق من ماله وأنفق في سبيل الله قبل موته ينتفع به الميت، وما أوصى به في أوجه البر والخير حتى ولو تصدق به بعد موته ينتفع به من أوصى بل حتى لو نوى الصدقة، ومات وحال دون صدقته عذر ينتفع به إن شاء الله، فالأعمال بالنيات وهي مقبولة طالما اجتمعت مع النية موافقة السنة، وهما شرطا القبول والحمد لله، بل ينتفع من ماله بصدقة جارية يتصدق بها أبناؤه بهذه النية، وفي هذا كله يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

فسبحان الله حتى الرفيقين الأوليين اللذين يفارقان العبد قد تحولا إلى عمل لا يفارقه باتباع تعاليم الشرع (الوحي) فيهما كما في الحديث السالف؛ فإن أحسن تربية ابنه على شرع الله عز وجل فقد استثمره كعمل يؤانسه بعد أن يقبر.

الفائدة الثانية: لا يخفى على كل ذي قلب منصف ما يعانيه من كان همه من تربية أبنائه هو تحصيل الدنيا مناصبها ومظهرها على حساب الآخرة، لا يخفى على الجميع ما يعانيه أمثال هؤلاء من معاناة؛ لأنهم يرون رأي العين أن أبناءهم قد خسروا كل شيء، فلا حصلوا دنيا ولا عمروا آخرة بل ولا حتى قد حصلوا هم كآباء برهم، وأنى يتأتى هذا البر والولد لم يرب على الوحي الذي يعلم الناس البر حقيقته وكيفيته.

سأل أحد المعلمين تلميذه عن أبيه، وكان الأب قد كبر سنه ومرض، فقال الولد لمعلم الناس الخير ادع له، فأجاب المعلم: بماذا؟ فسكت الولد، وقال: لقد اشتد به المرض، ففهم المعلم أن الولد ربما يقصد ادع له بأن يريحه الله من المرض وقد كبر سنه فعلمه الشيخ قائلاً: لو كنت تقصد موته حتى ولو كان بقلبك فهذا ليس من البر، بل تمن له الراحة والشفاء، ولا تتمن له الموت مهما كبر، وظننت أن الموت مريحه، فلو أن ابنك مريض وأخبرك الأطباء أنه ميئوس من شفائه، ولكنك وجدت قليل أمل في شفائه، فلن تتوان عن الحركة والبحث والإنفاق لماذا؟ لأنك تحب ابنك حبًا حقيقيًا يدفعك لبره.

وهكذا لا تجد هذه المعاني إلا في تربية الوحي الذي يحيي قلوب العباد ويرققها.

بل ونرى أن أول من يصاب من جراء عدم تربية الأبناء على الشرع هم الآباء فتجد الولد يكبر فيتبجح في وجه والديه، لماذا ؟ لأنهما لم يربيا فيه أخلاقًا على الشرع، وإنما ربيا فيه جسدًا باليًا لا يقوم لدنيا ولا دين (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ) (طه: ١٢٤-١٢٦).

إذن فمرد أمرنا كله لله وشرعه (وحيه) فلو صلح هذا القصد فينا لتحولت حياتنا (عباداتها وعاداتها) إلى أعمال صالحة تكون للمرء أنيسًا ورفيقًا لا يتركه.

وسبحان الله لنا هنا وقفة عجيبة لها ارتباط بموضوعنا كما أنها مرتبطة بفقه إمام من أئمة المسلمين يستهدفه الناس في هذه الأيام وما استهدفوه لذاته، ولكنهم فعلوا هذا معه لدوره تجاه السنة حتى صار علمًا على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يريد أعداء الإسلام أن يأتوا الإسلام من قبله.

أما العالم فهو الإمام البخاري، وأما موضوع الوقفة فهو أننا قد اتفقنا أن حل الأمر كله مرده لاتباع الوحي، وللإمام البخاري في هذا عمل عجيب ألا وهو: أنه قسم كتابه المشهور المعروف لدى الصغير والكبير (بصحيح البخاري) قسمه إلى ٩٢ كتابًا من أبواب العلم المختلفة؛ ككتاب العلم وكتاب الصيام والصلاة والزكاة والحج...إلخ، ثم وفقه الله عز وجل إلى بدء هذا السفر العظيم بكتاب سماه (بدء الوحي) ثم ختمه بكتاب سماه (كتاب التوحيد)، فكأن الإمام البخاري أراد أن يقول لنا رسالتين:

١- إن الذي سأذكره لكم في هذا السفر العظيم ليس من عندي، ولا من تأليفي ولكنه وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم لذا أبدأ بكتاب (بدء الوحي) وقول الله تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من قبلك).... وهو رد على من قال: إن البخاري وضع هذه الأحاديث من عنده.

٢- أن من أراد أن يموت على التوحيد والذي سمى به البخاري آخر كتاب في صحيحه (كتاب التوحيد)، والذي هو المقصد من خلق الله للعبيد من أراد أن يموت عيه فلا سبيل إليه إلا الوحي الذي نقلته لكم بين (كتاب بدء الوحي) وبين (كتاب التوحيد).

البشرى: (لا تحسبوه شرا لكم):

الله أكبر، والبخاري كسائر الخلق لا يعلم الغيب (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) فلم يكن يعلم البخاري أن الناس سيتهمونه بالوضع في هذه الأيام، ولم يكن يعلم أن الناس ستنكر الوحي ولكنه وفق لهذا التبويب وهذا الترتيب، ولا نرى هذا إلا من كرامات حفظ الله لدينه على أيدي أوليائه رحمهم الله، وبهذا أزف البشرى؛ فلا يجزع المسلم الذي يدمع فؤاده لما أصاب أهل الإسلام من ضعف، ولما رأى من اجتماع جيوش الأعداء على كتابنا الذي شرفنا الله به (كتاب الله) وعلى سنة رسول الله ينالون منهما في حملة شرسة ممنهجة منظمة من الخارج والداخل فنالوا من مؤسساتنا الرسمية والأهلية ومن علمائنا ومن تراثنا ومن تعاليمنا ومن ثوابتنا بمسميات كاذبة في مضمونها مرفوضة في شكلها مكشوفة للقاصي والداني لا يضرنا كل هذا؛ فالله ناصر دينه لا محالة قال تعالى: ((والله متم نوره ولو كره الكافرون)) علينا فقط أن نقوم بواجب عبادة الوقت وما ذلك إلا باتباع الوحي (كل الوحي) ثم يأذن الله بنصره وقتما يشاء ويأذن ((وما النصر إلا من عند الله)) بل إن هذه الحملة على نبي الإسلام وأهله هي من بشريات النصر (ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- في كتابه المشهور: "الصارم المسلول على شاتم الرسول" قال رحمه الله: ((حدثني العدول من أهل الفقه والخبرة أنهم كانوا يحاربون بني الأصفر-الروم- فتستعصي عليهم الحصون ويصعب عليهم فتحها ويحاصرونها أكثر من ستة أشهر، حتى إذا وقع أهل الحصن في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم استبشرنا خيرًا بقرب فتح الحصن، يقول فوالله لا يمر يوم أو يومان إلا وقد فتحنا الحصن عليهم بإذن الله جل وعلا.

خاتمة :حديث كهذا ألا يذكرنا بالموت وما بعده؟!

قال تعالى: « وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ » (ق: ١٩).

وقال تعالى: « وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ » (المنافقون: ١٠-١١).

ومما يعين على ما سبق بيانه:

ومما يعين على ذلك زيارة القبور، وحضور مجالس الوعظ، وسماع أخبار الصالحين: فمن حضر مجالس الوعظ، وداوم على سماع أخبار الصالحين، وعلم ما كانوا عليه من الزهد في الدنيا والتطلع إلى الآخرة رق قلبه وصلح حاله ومن أقوى ما يعين على ذلك تلاوة كتاب الله عز وجل، والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

الحلقة (٤٣)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٣٩٥- "رُبَّ طاعِمٍ شاكِرٍ أَعْظَمُ أَجْرًا من صائمٍ صابرٍ".

الحديث لا يصح: أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣١٠/٢) (ح١٤٦٧) في «الكامل» (١٣/٢) (٢٥٠/٧): «منكر الحديث عن الثقات والأئمة، وهو بين الضعف جدًا، ورواياته التي يرويها عمن يروي غير محفوظة، وهو عندي ممن يضع الحديث على الثقات».

٣٩٦- "كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرادَ الْحاجَةَ أَوْثَقَ في خاتمِهِ خَيْطًا".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في الكامل (١٣/١) عن واثلة بن الأسقع الليثي، وعلته إبراهيم بن بشر، رواه عن الأوزاعي عن مكحول عن واثلة به، قال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤٧/١٤٢/١): «بشر بن إبراهيم الأنصاري عن الأوزاعي بأحاديث موضوعة لا يتابع عليها». اهـ. وقال ابن عدي: ما ذكرته عنه عن الأوزاعي كل ذلك بواطيل وضعها عليه.

٣٩٧- "رَهبانيَّةُ أُمَّتي القعودُ في المساجِدِ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣٥٩/٤) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٣٩٨- "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ ص أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ بِوَزْنِ كُلِّ جَبَلٍ سَخَّرَهُ اللَّهُ لِدَاوُدَ حَسَنَاتٍ، وَعَصَمَهُ اللَّهُ، تَعَالَى، أَنْ يُصِرَّ عَلَى ذَنْبٍ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا".

الحديث لا يصح: أخرجه الواحدي في تفسيره «الوسيط» (٥٣٧/٣) والثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (١٧٥/٨) وعلته سلام بن سليم الكذاب ليس بشيء يروي الموضوعات كذا في «تهذيب الكمال» (٢٦٣٧/٢٢٢/٨)، و«الميزان» (٣٣٤٣/١٧٥/٢) للذهبي، والمجروحين (٣٣٥/١) لابن حبان وعلة أخرى هارون بن كثير مجهول روى عنه سلام بن سليم، وعلة ثالثة زيد بن سالم عن أبيه نكرة فالحديث موضوع على الصحابي أُبي بن كعب مرفوعًا ومسلسل بالعلل التي تزيده وهنًا على وهن، وأورده الزمخشري في «الكشاف» (٣٥/٤).

٣٩٩- "سَطَعَ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا هُوَ مِنْ ثَغْرِ حَوْرَاءَ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا".

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٤/٦)، وابن عدي في «الكامل» (٤٥٧/٢) (٥٦٧/١٩٨) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا، وعلته: حلبس بن محمد الكلابي، قال ابن عدي: منكر الحديث عن الثقات، وأورد هذا الحديث الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢٢٣٣/٥٨٧/١) وجعله من منكرات حلبس الكلبي وقال: «هذا باطل»، وقال الدارقطني: حلبس الكلبي: متروك الحديث. وقال ابن عدي: هذا حديث منكر.

٤٠٠- " مَنْ أَرَادَ أن يُؤتيه الله علماً بغير تعلُّم وهدًى بغير هداية؛ فليزْهَدْ في الدُّنيَا ".

الحديث لا يصح أورده الغزالي في «الإحياء» (٢١٩/٤) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً».

٤٠١- " مَن قرَأ سورة المجادلة كُتبَ من حزب الله يومَ القيامة ".

الحديث لا يصح: أخرجه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (٢٥٢/٩) والواحدي في تفسيره «الوسيط» (٢٥٨/٤) من حديث أُبي بن كعب مرفوعًا وعلته سلام بن سليم الطويل أبو أيوب المدائني؛ كذاب، وهارون بن كثير مجهول، وزيد بن سالم عن أبيه نكرة كما قال الحافظ في «اللسان» (٢١٨/٦)، والحديث أورده الزمخشري في تفسيره «الكشاف» (٣٦٣/٤) فالحديث موضوع.

٤٠٢- " مَنْ نَظَرَ فِي كِتابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ ".

الحديث لا يصح: أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٨٤/١) (ح٤٦٤)، ورواه ابن حبان في «المجروحين» (٨٨/٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٠/٤) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وعلته هشام بن زياد أبو المقدام، قال الإمام ابن حبان في «المجروحين»: «كان هشام ممن يروي الموضوعات عن الثقات، والمقلوبات عن الأثبات حتى يسبق إلى قلب المستمع أنه كان المتعمد لها، لا يجوز الاحتجاج به». اهـ. وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٦١٢): «هشام بن زياد أبو المقدام، متروك الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه حيث بيَّنه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) فقال: «ومذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤٠٣- " الوضوءُ على الوضوءِ نورٌ على نورٍ ".

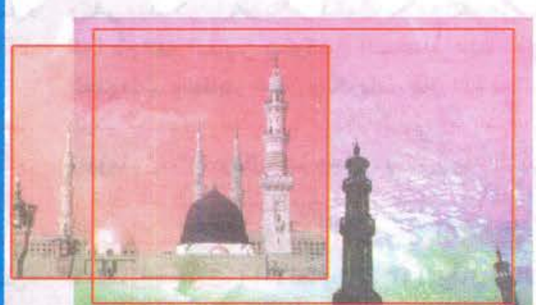
الحديث لا يصح وهو مشهور على الألسنة، أورده الغزالي في «الإحياء» (١٣٤/١)، وقال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» (١٣٤/١): «لم أجد له أصلاً». اهـ.

منبر الحرمين

الدعاء.. فضائل وآداب وأحكام

إعداد/ الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي

إمام المسجد النبوي



الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العزَّة والكبرياء، وأشهد أن نبيَّنا وسيِّدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالشريعة التامَّة الغرَّاء.

أما بعد:

فلقد قدَّر الله أسبابَ كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وقدَّر أسبابَ كل شرٍّ في الدارَين، فمن أخذ بأسباب الخير والفلاح، ضمِنَ الله له صلاحَ دُنياه، وكان له في الآخرة أحسن العاقبة مخلَّدًا في جنات النعيم، فائزًا برضوان الربِّ الرحيم، قال الله تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن: ٦٠).

ومن عمِل بأسباب الشرِّ، حصدَ جزاءَ عمله شرًّا في حياته وبعد مماته، قال الله تعالى: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) (النساء: ١٢٣).

ألا وإن من أسباب الصلاح والإصلاح والفلاح، وتتابُع الخيرات، وصرف النوازل والعقوبات، ورفع المصائب الواقعة والكُرُبات: الدعاءَ بإخلاص، وحضور قلب، وإلحاح، فالربُّ- جل وعلا- يُحبُّ الدعاء ويأمر به.

والدعاءُ ينفع مما نزل ومما لم ينزل، قال الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠).

والدعاءُ هو العبادة، كما في حديث النُّعمان بن بشير- رضي الله عنه-، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «الدعاءُ هو العبادة» (رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيح).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء» (رواه الترمذي وابن حبان في «صحيحه» والحاكم، وقال: «صحيحُ الإسناد»).

والدعاءُ مُرغَّبٌ فيه في كل وقتٍ، فهو

عبادةٌ يُثيبُ عليها الربُّ أعظمَ الثواب، وهو مُحقِّقٌ للمطالب كلها الخاصَّة والعامَّة، الدينية والدنيوية، في الحياة وبعد الممات.

ولمنافع الدعاء العظيمة شرعه الله في العبادات المفروضة وجوبًا أو استحبابًا، رحمةً من ربِّنا- سبحانه-، وتكرُّمًا وتفضلًا لنعمل بهذا السبب الذي علَّمنا الله إياه، ولو لم يُعلمنا الدعاءَ لم نهتد إليه بعقولنا، قال الله تعالى: (وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ) (الأنعام: ٩١).

فلله الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى.

وتشتدُّ الحاجةُ إلى الدعاء دائمًا خاصَّةً في هذا العصر، مع تظاهُر الفتن وكثرتها، وحُلول الكوارث المدمِّرة، ونـزولِ الكُرُبات بالمسلمين، وظهورِ الفِرَق المبتدعة التي تفرِّقُ صفَّ المسلمين، وتستحل الدماءَ والأمـوالَ المعصومة، وتجفُوا العلمَ وأهلَه، وتُفتي بالجهل والضلال.

ومـع تمالئ أعـداء الإسـلام عليه، وتآمُرهم على أهل الإيمـان، والتخاذلِ والفُرقة والاختلاف بين المسلمين، ومع الأضرار التي لحقَت بكل فرد مُسلم أخرج من دياره بظلم ومسَّه الضُّرُّ، وتعسَّرتْ عليه حوائجُه، وضاقت عليه الأرضُ بما رحُبَت، تشتدُّ الحاجةُ إلى الدعاء في هذه الأحوال العَصيبة التي يصطلي بنارها المسلمون في بُلدان شبَّت فيها الفتن.

ولقد أثنى الله على الذين يدعُونه، ويتضرَّعون إليه- عز وجل- إذا نزلَت بهم الخُطوب والشدائد، قال الله تعالى عن أبـويْ البشر- عليهما الصلاة والسلام-: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ) (الأعراف: ٢٣).

وقـال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ١٥٥- ١٥٧)، وقال- عز وجل- عن يونس- عليه السلام-: (فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) (الأنبياء: ٨٧).

وعـن سعد بن أبـي وقـاص- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-: «دعوةُ ذي النُّون إذ دعاه وهو في بطن الحوت، لم يدْعُ بها رجل مُسلمٌ في شيء قطُّ إلا استجابَ اللهُ له» (رواه أحمد والترمذي والحاكم، وقال: «صحيحُ الإسناد»).

ولما دعا النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- ثقيفًا إلى الإسلام، ردُّوا عليه دعوتَه، ورمَوه بالحجارة حتى أدمَت عقبَيْه، فدعا ربَّه قائلًا: «اللهم أشكو إليك ضعفَ قوَّتي، وقلَّةَ حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين! إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهَّمُني، أم إلى عدوٍّ ملَّكته أمري؟ إن لم يكن بكَ غضبٌ عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتُك أوسعُ لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقَت له الظُّلمات، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة أن يحلَّ بي غضبُك، أو ينزل بي سخَطُك، لك العُتبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوَّة إلا بك».

فبالدعاء تُستقبلُ الشدائدُ والكُرُبات إذا لم يقدر البشرُ على دفعها، عن ثوبان، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يردُّ القدرَ إلا الدعاء، ولا يزيدُ في العُمر إلا البرُّ، وإن الرجلَ ليُحرَم الرزقَ بالذنب يُصيبُه» (رواه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم، وقال: «صحيحُ الإسناد»).

وعن ابن عُمر- رضي الله عنهما-، عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الدعاءَ ينفعُ مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم- عباد الله- بالدعاء» (رواه الترمذي والحاكم).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-: «إن الله تعالى يقول: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني» (رواه البخاري ومسلم).

وكفى بهذا ثوابًا وفضلًا أن يكون الله مع الداعي.

كما ذمَّ الله الـذيـن يـتـركـون الـدعـاءَ عند نـزول العقوبات، وتظاهُر الفتن والكُرُبات، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) (المؤمنون: ٧٦)، وقال- عز وجل-: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ٤٢، ٤٣)، وقال تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) (الأعراف: ٩٤).

وتـركُ الـدعـاء في الكُـرُبـات إصـرارٌ على الذنوب، واسـتـخـفـافٌ ببطش الله الـشـديـد، قـال الله- سبحانه-: (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) (البروج: ١٢).

والدعاءُ سببٌ عظيمٌ لنزول الخيرات والبركات، ودفع الشرِّ أو رفعه عن الداعي.

والدعاء أقوى الأسباب للخروج من الشرِّ الذي وقع، والمكروه الذي حل، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣، ٨٤)، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ (النمل: ٦٢)؛ أي: لا أحد يفعل ذلك إلا الله تعالى.

وقال- سبحانه-: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (الأنعام: ٦٣).

والمسلمُ عليه أن يرغبَ إلى الله في إصلاح شأنه كله، وأن يرفعَ إلى ربِّه حوائجَه كلها، ويسألَه كلَّ شيءٍ، وأعظمُ مطلوبٍ الجنة والنجاة من النار، قال الله تعالى في الحديث القدسيِّ: «يا عبادي! كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسُكم، يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم» (رواه مسلم من حديث أبي ذرٍّ- رضي الله عنه-). ومعناه: اسألوني الهدايةَ والإطعامَ والكسوةَ والمغفرةَ.

اللهم اهدنا وأطعمنا واكسنا واغفر لنا يا أرحم الراحمين.

وفي الحديث: «ليسأل أحدُكم ربَّه حتى شِسْعَ نعله وملحَ طعامه».

وكم دعوةٍ غيَّرت مجرَى التاريخ من شرٍّ إلى خيرٍ، ومن حسنٍ إلى أحسن، قال الله تعالى عن أبينا إبراهيم- عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

عن أبي أمامة- رضي الله عنه- قال: قلتُ: يا رسول الله! ما كان بدءُ أمرك؟ قال: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرجَ منها نورٌ أضاءَت له قصورُ الشام، وكذلك أمهات الأنبياء يرَيْن» (رواه أحمد).

فالمسلمون في الخيرِ الدائم بهذه الدعوة، والأرض نالَتها هذه الدعوةُ المباركة.

ودعوةُ نوحٍ- عليه الصلاة والسلام- كانت خيرًا ونجاةً للمؤمنين الموحِّدين، وشرًّا على المشركين وهلاكًا.

ودعوةُ عيسى- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الذين يُحصَرون في الطور في آخر الزمان، تكون نصرًا للمسلمين، وهلاكًا ليأجوج ومأجوج الذين هم كالجراد الذي يعمُّ الأرض، شرُّ الخلق والخليقة، وأشدهم فسادًا وطغيانًا وجبروتًا.

وفي حديث النوَّاس بن سَمعان- رضي الله عنه- بعد قتل عيسى- صلى الله عليه وسلم- للمسيح الكذاب الدجَّال الذي يعيثُ في الأرض فسادًا، يقول في الحديث: «إذ أوحَى الله تعالى إلى عيسى- صلى الله عليه وسلم-: أني قد أخرجتُ عبادًا لي، لا يَدانِ لأحدٍ بقتالهم- أي: لا طاقةَ لأحدٍ بهم-، فحرِّزْ عبادي إلى الطور، ويبعثُ الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدَبٍ ينسلون، فيمُرُّ أوائلهم على بُحيرة طبريَّة فيشربون ما فيها من ماء، ويمُرُّ آخرُهم فيقولون: لقد كان بهذه مرَّةً ماء.

ويُحصَرُ نبيُّ الله- صلى الله عليه وسلم- وأصحابُه بالطور، حتى يكون رأسُ الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغَبُ نبيُّ الله عيسى- صلى الله عليه وسلم- وأصحابُه إلى الله- عز وجل- فيدعُونه، فيُرسلُ الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم- وهو الدُّود-، فيُصبحون موتَى كموتِ نفسٍ واحدة.

ثم يهبطُ نبيُّ الله- عليه الصلاة والسلام- وأصحابُه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زَهَمُهم ونتْنُهم، فيرغبُ نبيُّ الله عيسى- صلى الله عليه وسلم- وأصحابُه إلى الله يدعُونه، فيُرسلُ الله تعالى طيرًا كأعناقِ البُخْت، فتحملُهم فتطرحُهم حيث شاءَ الله» (رواه مسلم).

ودُعاءُ النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- سيِّد البشر وأصحابه في بدر، كان نصرًا للإسلام إلى الأبَد، وخذلانًا للكفر إلى الأبَد، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ

﴿الْمَلَٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩).

ودعا النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- وألحَّ في الدعاء ببدر حتى سقط رداؤه، فالتزمه أبو بكر من ورائه- رضيَ الله عنه-، وقال: كفى مُناشدتُك ربَّك يا رسول الله، فإن الله مُنجزٌ لك ما وعدَك، فقال: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل- عليه السلام- يزَعُ الملائكة، على ثناياه النَّقعُ».

ولم تُقاتل الملائكةُ مع نبيٍّ قبلَه، خُصَّ بذلك لكمال فضله- عليه الصلاة والسلام-، وقوَّة يقينه وتوكُّله على الله، وإخلاص أصحابه- رضي الله تعالى عنهم-.

والدعاءُ بنصر الحقِّ ودحض الباطل نُصحٌ لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم، فلا يزهَدُ في الدعاء ولا يهجُره إلا من أضاع حظَّ نفسه في الدنيا والآخرة، وأضاع ما يجبُ عليه للإسلام والمسلمين، وفي الحديث: «من لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم».

ولو تتبَّعنا آثارَ الدعاء وبركاته وخيراته ونتائجه العجيبة الطيبة، لطال السَّردُ، وحسبُنا ما أشرنا إليه.

وللدعاء شُروطٌ وآداب؛ فمن شروط الدعاء: أكلُ الحلال، ولُبس الحلال، قال النبي- صلى الله عليه وسلم- لسعد بن أبي وقَّاص: «يا سعد! أطب مطعمك تُستجَب دعوتُك».

ومن شروطه: التمسُّك بالسنَّة، والاستجابةُ لله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فمن استجابَ لله استجابَ الله له، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (الشورى: ٢٦).

وأما المظلوم فيُستجابُ له ولو كان كافرًا أو مُبتدعًا.

ومن شرط الدعاء: الإخلاصُ وحُضور القلب، والإلحاحُ على الله، وصدقُ الالتجاء إلى الربِّ تعالى، قال- سبحانه-: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: ١٤).

وفي الحديث: «لا يقبلُ الله الدعاءَ من قلب ساه لاه غافل».

ومن شروطه: ألا يدعُو بإثم ولا قطيعة رحم، وألا يعتدي في الدعاء.

ومن أسباب إجابة الدعاء: الثناءُ على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، والصلاةُ على النبي- عليه الصلاة والسلام-، وفي الحديث: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهدُ أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد، فقال: «لقد سألتَ الله بالاسم الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعيَ به أجاب» (رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديثُ حسن»، وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بُريدَة- رضي الله عنه-).

وعن فَضالة بن عُبيد- رضي الله عنه- قال: بينما رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- قاعدٌ، إذ دخل رجلٌ فصلَّى، فقال: اللهم اغفر لي وارحَمني، فقال- عليه الصلاة والسلام-: «عَجلتَ أيها المُصلي، إذا صلَّيتَ فقعدتَ فاحمَد الله بما هو أهلُه، وصلِّ عليَّ، ثم ادعُه» (رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: «حديثٌ حسن»).

ومن آداب الدعاء وشروط قبوله: ألا يستعجل الإجابة، بل يصبرُ ويُداومُ على الدعاء، ففي الحديث: «يُستجابُ لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يُستجَب لي» (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-).

فدوامُ الدعاء معه الإجابة، وفي الحديث: «ما على وجه الأرض رجلٌ مُسلمٌ يدعُو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرفَ عنه من السوء مثلَها ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم»، فقال رجلٌ: إذًا نُكثر؟ قال: «اللهُ أكثر» (رواه الترمذي، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيح»).

ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد، وزاد فيه: «أو يدَّخرُ له من مثلها».

وعلى المُسلم أن يتحرَّى أوقاتَ الإجابة، قيل لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-: أيُّ الدعاء أسمَع؟ قال: «جوفُ الليل الآخر، ودُبُر الصلوات المكتوبات» (رواه الترمذي، وقال: «حديثٌ حسن»، من حديث أبي أُمامة- رضي الله عنه-.

وفي الحديث: «ينزلُ ربُّنا إلى السماء الدنيا ثُلُث الليل الآخر، فيقولُ: هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل

من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟» (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-.

وبين الأذان والإقامة لا يُردُّ الدعاء، وفي الحديث: «أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فأكثروا الدعاءَ» (رواه مسلم من حديث أبي هريرة).

وعند رؤية الكعبة، وعند نزول الغيث، وعند الاضطرار، وبعد ختم القرآن، وبعد الصدقة.

فما أعظمَ سعادةَ وفلاحَ وأجرَ من عكفَ قلبُه على الله -تعالى-، يدعُوه ويرجُوه ويتوكَّل عليه، ويستعينُ به، ويُلِحُّ في الدعاءِ على الله، وما أشقى وما أشدَّ شركَ وكفرَ من يدعُو الأضرحة والقبور وأصحاب القبور، أو يستغيثُ بالأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-، أو الأولياء، أو يدعُوهم من دون الله تعالى، أو يرفع حاجاته لمَلَك مُقرَّب، أو نبيٍّ مُرسَل. فإن الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- جاؤوا لدعوة الناس أن يخصُّوا الله تعالى بالدعاء، ويُفردوه وحدَه بالعبادة والدعاء.

والأولياءُ أمرنا بالعمل بمثل عملهم، وبمحبَّتهم والاقتداء بهم، ونُهينا عن دعائهم، قال الله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: ١٨)، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) (الجن: ٢٠).

والغائبُ والموتى لا يستجيبُ أحدٌ منهم الدعاء؛ لأن الدعاءَ لا يقدرُ على إجابته إلا الله- عز وجل-، قال- سبحانه-: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) (الرعد: ١٤)، وقال تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ × وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) (الأحقاف: ٥، ٦).

وقال تعالى يُخبرُ عن أفعاله وتدبيره: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ × إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) (فاطر: ١٣، ١٤).

ولم يأذن الله في دعوة أحد من دونه مهما كان مُقرَّبًا، قال الله تعالى: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (المائدة: ٧٢)، وقال- سبحانه-: (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٨٠).

وفي الحديث: «من ماتَ وهو يدعُو من دون الله ندًّا دخل النار» (رواه البخاري من حديث ابن مسعود- رضي الله عنه-).

أيها المسلم:

ولا يُقلِّد أحدٌ أحدًا في الضلال والشرك، فما وقعَ الشركُ والكفرُ في بني آدم إلا بالتقليد، واتباع الضالين المشركين، قال الله تعالى: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ × فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) (الصافات: ٦٢- ٧٠).

قال الله تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) (الأعراف: ٥٥، ٥٦).

عباد الله:

كُونوا إلى الله راغبين، ولدُعائه مُداومين، فليسأل كل أحد ربَّه ما يعلمُه خيرًا له، وليستعذ بالله مما يعلمُه شرًّا.

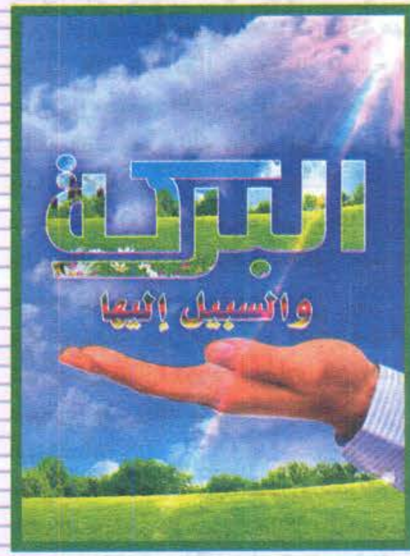
وأعظمُ سُؤْل هو رضوانُ الله والجنة، وأعظمُ ما يُستعاذُ منه هو النار.

وليُلِحَّ المُسلمُ على ربِّه في المطلَب الذي يهمُّه، فالله غنيٌّ حميدٌ كريم، جوادٌ عظيمٌ قادر، وفي الحديث: «من لم يسأل الله يغضَب عليه».

ويُستحبُّ للمُسلم أن يتخيَّر جوامع الدعاء الوارد عن النبي- صلى الله عليه وسلم-؛ كقوله تعالى: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (البقرة: ٢٠١)، وكان النبي يدعُو بها كثيرًا.

ومثل: اللهم إني أسألُك الجنةَ وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذُ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل.

اللهم انصُر دينَك، وكتابَك، وسُنَّة نبيِّك يا أرحم الراحمين.



البركة والسبيل إليها

الحلقة الأولى

إعداد/ أحمد صلاح رضوان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين، أما بعدُ:

فإن من الظواهر التي عمَّت وطمَّت، وأحسَّ الكثير من الناس بها: قلَّة البركة في الأموال والأولاد والنفس والثمرات، وهي حالة طبيعية، وسنَّة ربانية للحالة الدينية والأخلاقية المتردية في الأمة، وربما لا يشعر بذلك أحدٌ، فلا ألفة، ولا مودة، ولا رحمة!! بل همومٌ ومشاكل وخلافات وقضايا، لماذا؟ لأن الله لم يبارك في زمان ولا مكان أعرض أهلُه عن طاعة مولاهم.

العمر.. هو أغلى ما يملك الإنسان في الدنيا، قد تمر عليه السنون والأعوامُ ولم يُحصِّل شيئًا من نفع الدنيا والآخرة، فتراه بين يدي الله تعالى يوم القيامة عاريًا من خير زاد، لباس التقوى خير لباس!!

ومما يزيد الأمر خطورة أننا سوف نُسأل عن أعمارنا: فيم قضيناها؟ فقد روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ».

قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر»: «"ينبغي لمن عرف شرف الوجود أن يُحصِّل أفضل الموجود فإن هذا العمر موسم والتجارة تختلف، والعامة تقول: عليكم بما خف حمله وكثر ثمنه. فينبغي للمستيقظ أن لا يطلب إلا النفيس وأنفس الأشياء في الدنيا معرفة الحق عز وجل».

إن للبركة صورًا وأشكالاً لا تعدُّ ولا تحصى، وكلٌّ بحسبه، فهناك بركةٌ في الزمان والمكان والأحوال، وغير ذلك، دعت الشريعة الغراء إلى الاستباق إليها جميعًا، وما ذاك إلا لخير أراده الله تعالى للأمة.

تعريف البركة:

البركة هي: النماء والزيادة، وهي شيء من خير يجعله الله تعالى في بعض مخلوقاته، وتكون

في الأموال والأولاد والأنفس والثمرات، وكل ما لا غنى للعبد عنه، حتى الأنبياء والمرسلون لا غنى لهم عن بركة الله تعالى.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْه جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِه فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ. (صحيح البخاري: ٢٧٥).

وكما أن الرزق من الله، فالبركة فيه من عند الله وحده، ولا تُطلب إلا منه، فهو الذي يبارك، ويجعل الشيء مباركًا، لكنَّ ما عند الله لا يُطلب إلا بطاعته، **فأين الأمة من البركة؟! وأين البركة من الأمة؟!**

سبل تحصيل البركة

١- تقوى الله عز وجل؛ «إنها مفتاح كل خير، مغلاق كل شر»:

إن من أعظم أسباب جلب البركات، وتنزل الرحمات تقوى الله تعالى، قال الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (الأعراف:٩٦). فقد أخبر الله تعالى أن أهل القرى لو آمنوا إيمانًا صادقًا، صدقته الأعمال، وتركوا ما حرم الله، لفتح عليهم بركات السماء والأرض كيعاسيب النحل، فكان عيشهم كأحسن ما يكون، لا عناء ولا تعب، ولا كدَّ ولا نصب، ولكنهم خالفوا وعصوا فكان الجزاء، «فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (الأعراف:٩٦). بالعقوبات والبلايا ونزع البركات وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم!! فلو أخذهم بجميع ذنوبهم ما ترك عليها من دابة، قال الله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم:٤١)، فكم من أمة كانت في سعة من الرزق، ورغد من العيش، وسلامة في الأبدان، وأمن في الأوطان، ولكنها حادت عن منهج الله تعالى، فحلَّ عليها العقاب، ونزل بها العذاب!! قال الله تعالى: «وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا» (الطلاق:٨)، وقال الله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (النحل:١١٢)، وقال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ» (سبأ:١٥).

إنها سنن الله في كونه وملكوته، «ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الأنفال:٥٣). فما يُصيبُ الناس من أزمات ونكبات هو نتيجة أعمالهم، فالله حكمٌ عدل، فهم يعيشون تحت بركة حسناتهم، أو شؤم سيئاتهم، وكلما استقام العباد على طاعة الله، استقامت لهم الدنيا، وتنزلت عليهم الخيرات والبركات، وهذه الخيرات والبركات لا يُنغِّصها على العبد إلا الذنبُ يصيبه.

فعن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا، بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ" (أخرجه ابن ماجه: ٤٠١٩).

وهكذا الذنوب!! ما حلَّت نذرها بساحة قوم إلا ساء صباح المنذرين.

قال ابن القيم في «زاد المعاد»: «ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تُحدث فيهم من الفساد العام والخاص ما يجلبُ لهم من الآلام والأمراض والأسقام وسلب بركات الأرض».

وروى الإمام أحمد أنه وجد في خزائن بعض بني أمية صُرةً فيها حنطة أمثال نوى التمر، مكتوب عليها: هذا كان ينبت أيام العدل.

(رواه ابن أبي شيبة، وابن معين في تاريخه).
فالمعاصي تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الزمان والمكان معًا، فإذا أظهر العباد ذنوبًا تتابعت عليهم العقوبات، وكلما قلّت المعاصي في الأرض ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى، قال الله تعالى: «وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا» (الجن:١٦). والماء الغدق هو: الكثير، أي: لبسطنا لهم في رزقهم ووسعنا عليهم.
وعلى العكس «وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا» (الجن:١٧)، فالجزاء من جنس العمل.

٢- إقامة شرع الله تعالى:

قال الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم» (المائدة:٦٥، ٦٦)، أي: لصلحت حياتهم الدنيا ونمت، وفاضت عليهم الأرزاق، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق، ووفرة النتاج، وحُسن التوزيع، وصلاح أمر الحياة.
تقرر الآيتان حقيقة مهمة بمناسبة الحديث عن انحراف أهل الكتاب عن دين الله تعالى، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأن ذلك كان سببًا في منع البركة عنهم، بسبب عدم إقامتهم لدين الله تعالى وما أنزل إليهم.
فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حَدٌّ يُعْمَلُ به فِي الأَرْضِ خَيْرٌ لأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا". (رواه ابن ماجه: ٢٥٣٨).

٣- دعاء رب الأرض والسماء:

فالدعاء والالتجاء إلى الله تعالى من أعظم الأمور التي يُفتتح بها بابُ البركات على العباد، فالله تعالى هو الملاذ وهو المعاذ، فقد كان دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي». (رواه الترمذي). أي: اجعل رزقي مباركًا محفوفًا بالخير، ووفقني للرضا بالمقسوم منه، وعدم الالتفات لغيره.
وأما قوله: «ووسّع لي في داري» أي: وسّع لي في مسكني في الدنيا؛ لأن ضيق مرافق الدار يُضيقُ الصدر، ويجلب الهم، ويشغلُ البال.
وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة النبوية والشام واليمن بكل خير وبركة، فعن أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ". (البخاري: ١٧٨٦). (أي: من بركة الدنيا).
ومما ورد في الشرع ببركة أرض الشام: ما ذكره الله تعالى في شأن انتقال بني إسرائيل إلى الشام: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» (الأعراف:١٣٧)، وقال تعالى مخبرًا عن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الشام: «وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ» (الأنبياء:٧١)، و«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ» (الإسراء:١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَفِي ثِمَارِنَا وَفِي مُدِّنَا وَفِي صَاعِنَا» (رواه مسلم: ١٣٧٣).
ولكن.. كون الرجل من غير هذه البلاد لا يستلزم أنه مذموم إذا كان صالحًا مطيعًا حافظًا لحدود الله تعالى، والعكس بالعكس، فكم في مكة والمدينة والشام من فاسق وفاجر!! والفضيلة الدائمة في كل زمان ومكان بالإيمان والعمل الصالح، فإن الأرض لا تُقدسُ أحدًا، وإنما يُقدِّس المرءَ عملُه الصالحُ أينما كان.
ولحرص الإسلام على حلول البركة في البيوت من أول يوم قامت فيه: شُرع الدعاء للزوجين بالبركة عند النكاح.
فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَّأَ الإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ قَالَ: "بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ". (سنن الترمذي: ١٠٩١).
وكانت ترفئة الجاهلية للمتزوج أن يقولوا له: بالرِّفاء والبنين، والرِّفاء: الالتئام والاتفاق، فنهى صلى الله عليه وسلم عن هذه الترفئة،

وأرشد على خير منها، كما في الحديث، وهو الدعاء بالبركة، لأن دعاءهم في الجاهلية: «بالرفاء والبنين» قُصد به الدعاء بإنجاب الذكور فقط دون الإناث، وذلك لبغضهم البنات، ولهذا سن النبي صلى الله عليه وسلم لأمته خيرًا من هذا، بل هو القائل صلى الله عليه وسلم: «لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات». (رواه أحمد عن عقبة بن عامر).

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: تَزَوَّجَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِب فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ فَقَالَ مَهْ لاَ تَقُولُوا ذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ قُولُوا بَارَكَ اللَّه لَهَا فِيكَ وَبَارَكَ لَكَ فِيهَا. (رواه أحمد).

مما تجدر الإشارة إليه: أن حلول البركة في الزواج مرتبطة بالتيسير والتسهيل في أمر الزواج، وأن أوفر الزوجات وأكثرهن بركة ما قلت المؤونة والكلفة في نكاحها؛ لما رواه ابن حبان والحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يُمن المرأة تسهيلُ أمرها، وقلةُ صداقها» (واليُمن هو البركة).

وفي رواية: «إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها». رواه ابن حبان. ومعنى: «تيسير رحمها»: أي: للولادة، بأن تكون سريعة الحمل، كثيرة النسل.

ومن صور البركة التي رغَّب الإسلام فيها لأرباب البيوت: أنهم إذا دخلوا على أهليهم سلَّموا عليهم، فقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلِّم، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك».

فيكون السلام سببًا في زيادة البركة، وكثرة الخير والرحمة؛ لما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّه عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّه عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّه عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ". (رواه مسلم).

وعن عن أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" (رواه البخاري: ١٩٦١).

وبسط الرزق هو: توسيعه، وكثرته، والبركة فيه، وأمَّا التأخير في الأجل بقوله: «ينسأ له في أثره» أي: يؤخر في أجله، فكيف يكون؟ مع العلم بأن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص، «فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ» (الأعراف: ٣٤). فالجواب المرضي في ذلك: أن هذه الزيادة بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وتحصيل المنافع، وعمارة الأوقات بذكر الله، وما ينفعها بين يدي الله تعالى، وعدم ضياعها في غير ذلك.

وقيل: إن الزيادة والنقصان تكون بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة بما في أيديهم من القدرة، فيظهر لهم أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل الرحم، فإن وصلها زيدَ في عمره أربعون سنة أخرى، وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ» (الرعد:٣٩). أما بالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره فلا زيادة ولا نقصان.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صلة الرحم، وحسن الخُلق، وحُسن الجوار: يُعَمِّران الديار، ويزيدان في الأعمار»..

وعن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أعجل الطاعة ثوابًا لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجرةً، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا». ومع الرضا بما قسم الله وقدَّر، والتعفف عما في أيدي الناس.

وللحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله، والله الموفق والمستعان.

الحلقة الثالثة

نظرات في الإجماع
مدونات نقد الإجماع

إعداد/ محمد عبد العزيز

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وبعد:

فقد سبق أنه قد عني أهل العلم بنقل الإجماعات في مسائل العلم في مصنفاتهم، وهم في ذلك بين مقل ومستكثر، ومنهم من صنف في ذلك مصنفًا كالكتب السابقة، ومنهم من بثها في مصنفاته كمحمد بن نصر المروزي- وهو من أعلم الناس بخلاف أهل العلم كما قال الذهبي- ومن هؤلاء الطحاوي في شرح معاني الآثار، وابن المنذر في كتبه الإشراف والأوسط، والإقناع، والطبري في اختلاف الفقهاء، وتهذيب الآثار، والمروزي في اختلاف العلماء، وابن عبد البر في كتابيه التمهيد والاستذكار، وابن هبيرة في إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم، وهو جزء من كتابه الإفصاح الذي شرح به الجمع بين الصحيحين للحميدي، وكابن رشد الجد والحفيد، والنووي، وابن قدامة، وابن تيمية، وابن القيم، وابن بطال، وابن حجر غيرهم من أهل العلم، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

وهذا النقل للإجماعات في غالبه يقوم على الاستقراء لأقوال أهل العلم، وقد يكون الاستقراء تامًا أو ناقصًا، وقد يكون صاحبه واسع الاطلاع على مذاهب علماء الأمصار أو لا، وقد يكون واسع الدعوى فيرى ما ليس إجماعًا، إجماعًا، وقد يكون متحققًا مما يقول لكنه يقول ببعض أنواع الإجماع المختلف فيها.

لذا فالمحققون من أهل العلم لا يسلمون بالدعوى المجردة في هذا الباب، بل يدرسون هذه الدعوى فإن تحققت وإلا ردوها، وقد سبقَ كلام الشافعي وأحمد وغيرهما من أهل العلم في هذا الباب.

وقد قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٣٧٠/٣): ((ولا تعبأ بما يُفرض من المسائل ويُدَّعى الصحة فيها بمجرد التهويل، أو بدعوى أن لا خلاف في ذلك.

وقائل ذلك لا يعلم أحدًا قال فيها بالصحة، فضلاً عن نفي الخلاف فيها.

وليس الحُكْمُ فيها من الجليّات التي لا يُعذر المخالف فيها.

وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد: "من ادعى الإجماع فهو كاذب.

فإنما هذه دعوى بشر وابن علية يريدون أن يبطلوا السنن بذلك".

يعني الإمام أحمد أن المتكلمين في الفقه من أهل الكلام إذا ناظرتهم بالسنن والآثار، قالوا: هذا خلاف الإجماع)).

لذا عني أهل العلم بدراسة الإجماعات المدعاة في كثير من المسائل ولم يسلموا بمجرد الدعوى، وقد بثوا ذلك في كتبهم فلم يفردوا هذا النوع بمؤلفات خاصة فيه، ولا أعلم على مَرِّ التاريخ سوى مؤلف واحد في هذا الباب، وصاحبه- رحمه الله- لم يصرف عنايته لتتبع كل مسألة أدعي فيها الإجماع كما سيأتي، وقد اهتم أهل العلم في هذا العصر بهذا النوع من الدراسة- علم نقد الإجماع- وأفردت له بعض المصنفات، وهذه المصنفات هي موضوع هذا المقال- بعون الله تعالى وتوفيقه-

لكن قبل الشروع فيه أشير إلى الفرق الدقيق بين قولنا: نقد، ونقض.

فالأولى: نقد، تعني التمييز (كالتمييز بين الغث، والسمين)، فقد جاء في لسان العرب: النَّقْدُ والتَّنْقادُ: تمييزُ الدراهِم وإِخراجُ الزَّيْفِ منها.

أما الثانية: النقض، فهي تعني إثبات الخطأ، وهدمه أو إزالته أو إبطاله، جاء في لسان العرب:النَّقْضُ: إِفْسادُ ما أَبْرَمْتَ من عَقْدٍ أَو بِناءٍ.

و سأذكر في هذا المقال بعض المصنفات التي عنيت بنقد مرويات الإجماع، وهذا أوان الشروع في ذلك:

١- كتاب نقض مراتب الإجماع المنسوب خطأ لشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- وقد عني في كتابه بنقض بعض الإجماعات التي ينقلها ابن حزم في كتابه: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات.

وقد انتقض عليه ٤٢ إجماعًا من جملة ١٠٩٤ إجماعًا، نقلها لكن المؤلف لم يرد بهذا الاستيعاب وإنما أراد مجرد التمثيل، فقد نقض مثلاً ١٤ إجماعًا على المصنف في كتابي الطهارة والصلاة من جملة ١٢٩ إجماعًا نقلها في هذين الكتابين، والإجماعات المنتقدة على ابن حزم في هذين البابين ضعف هذا العدد تقريبًا كما في كتاب أحكام الإجماع والتطبيقات عليها للدكتور خلف الحمد.

قال المصنف- رحمه الله تعالى- (في نقض مراتب الإجماع المطبوع مع مراتب الإجماع (ص ٣٠٢)):

((وقد ذكر رحمه الله تعالى إجماعات من هذا الجنس في هذا الكتاب، ولم يكن قصدنا تتبع ما ذكره من الإجماعات التي عُرف انتقاضها، فإن هذا يزيد على ما ذكرناه.

مع أن أكثر ما ذكره من الإجماع هو كما حكاه، لا نعلم فيه نزاعًا، وإنما المقصود أنه مع كثرة اطلاعه على أقوال العلماء وتبرزه في ذلك على غيره، واشتراطه ما اشترطه في الإجماع الذي يحكيه، يظهر فيما ذكره في الإجماع نزاعات مشهورة، وقد يكون الراجح في بعضها خلاف ما يذكره في الإجماع.

وسبب ذلك:

- دعوى الإحاطة بما لا يمكن الإحاطة به.
- ودعوى أنَّ الإجماع الإحاطي هو الحجة لا غيره.

فهاتان قضيتان لا بد لمن ادعاهما من التناقض إذا احتج بالإجماع.

فمن ادَّعى الإجماع في الأمور الخفية بمعنى أنه يعلم عدم المنازع، فقد قفا ما ليس له به علم، وهؤلاء الذين أنكر عليهم الإمام أحمد.

وأما من احتج بالإجماع بمعنى عدم العلم بالمنازع، فقد اتبع سبيل الأئمة، وهذا هو الإجماع الذي كانوا يحتجون به في مثل هذه المسائل)).

قلت: لابد من التنبيه على أمور:

الأول: طبع الكتاب باسم: نقد مراتب الإجماع والصحيح أنه: نقض بالضاد.

الثاني: أن الكتاب لابن شيخ السلامية حمزة بن موسى بن بدران المعروف بابن شيخ السلامية؛ قال الشيخ عبد الله التركي في كتابه المذهب الحنبلي «دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته» (٢ / ٣٨٧): (ويوجد في عالم المطبوعات كتاب بعنوان "نقض مراتب الإجماع"، وهو مطبوع بهامش "مراتب الإجماع"، منسوباً إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم أجد له في المصادر التي ذكرت تصانيفه أن له كتاباً بهذا العنوان أو بعنوان مقارب، والذي يبدو في النظر أن هذا الكتاب المطبوع هو نفس كتاب ابن شيخ السلامية، ولكن ظن ناشره أو ناسخه أنه لابن تيمية من أجل كثرة النقول عنه في هذا الكتاب، ولا غرابة في ذلك، فقد كان ابن شيخ السلامية- كما قال مترجموه- من المعتنين بفتاوى شيخ الإسلام، المنتصرين لآرائه وأقواله.فليحرر. والله أعلم).

الثالث: أن الكتاب لم يعتن مصنفه بدراسة، وتتبع الإجماعات التي يذكرها ابن حزم لكنه أراد أن يبين، أن ابن حزم لم يوف بمنهجه الذي ذكره في أول كتابه، فنقض عليه شرطين التزمهما ولم يوف بهما وهما:

(دعوى الإحاطة بما لا يمكن الإحاطة به.

ودعوى أنَّ الإجماع الإحاطي هو الحجة لا غيره.)

ويعني بهذا إن نقل جمهور الإجماع الموجود في كلام الفقهاء بل، وفي كلام ابن حزم إنما هو عدم العلم بالمخالف، أما الإجماع الإحاطي بصورته المثلى الموجودة في كتب الأصول، والتي ادعى ابن حزم التزامه بها فإنه غير موجود واقعًا.

ولذا قال: ((وأما من احتج بالإجماع بمعنى عدم العلم بالمنازع، فقد اتبع سبيل الأئمة، وهذا هو الإجماع الذي كانوا يحتجون به في مثل هذه المسائل)).

وقد عني كثير من الباحثين المعاصرين بدراسة الإجماعات التي ينقلها بعض الأئمة فمن هذه البحوث:

كتاب: أحكام الإجماع والتطبيقات عليها، من خلال كتابي:

- ابن المنذر،وابن حزم، في بابي الطهارة والصلاة تأليف د: خلف محمد الحمد، وقد تتبع من الكتابين ١٧٣ إجماعًا.

وهي على التفصيل:

٨٥ إجماعًا لابن المنذر.

١٢٩ إجماعًا لابن حزم.

اشتركا في بعضها، وانفرد كل واحد منهما عن الآخر في بعضها، وغالب هذه الانفرادات لابن حزم.

وجملة ما انتقده عليهما الباحث في هذا الكتاب ٣٠ إجماعًا في كتابي الطهارة والصلاة من جملة: ١٧٣ إجماعًا.

وقد سبق ذكر بعض الدراسات التي دارت حول كتابي ابن المنذر، وابن حزم- رحمهما الله-.

- كتاب إجماعات ابن عبد البر في العبادات جمعًا ودراسة، لعبد الله بن مبارك البوصي.

وهو كتاب جيد، والباحث يذكر فيه عبارة ابن البر في نقل الإجماع ثم يتبعها بذكر من وافقه على نقل الإجماع، ثم يذكر مستند الإجماع سواء ذكره ابن عبد البر أو لم يذكره.

فإن انتقد ابن عبد البر في نقله للإجماع، ذكر من خالفه من أهل العلم.

والمسائل في الكتاب غير مرقمة تسلسليًا.

وعدد الإجماعات التي أحصاها: ٣٣٥ إجماعًا، منها ٨٦ مسألة ذكر فيها الإجماع مع وجود مخالف.

وعدد الإجماعات التي انفرد ابن عبد البر بنقلها في هذا الباب: ٤٩ إجماعًا، والإجماعات التي شاركه غيره في نقلها: ٢٨٥.

- كتاب الإجماع عند الإمام النووي من خلال شرحه لصحيح مسلم، دراسة أصولية تطبيقية.

لعلي بن أحمد بن محمد الراشدي- رسالة ماجستير ١٤١٩هـ من جامعة أم القرى،كلية الشريعة، وقد طبعته دار الفضيلة.

وهو كتاب يجمع بين التأصيل لدليل الإجماع

عند الإمام النووي وبين استقراء الإجماعات التي ذكرها الإمام ودراستها، والباحث لم يرقم مسائل الإجماع تسلسليًا ليعرف عدد الإجماعات.

وقد خلص الباحث إلى عدد من النتائج الإحصائية منها:

- عدد المسائل التي ذكر النووي فيها حكاية الإجماع، ولم يثبت: ٣٤ مسألة.
- عدد المسائل التي خالف فيها ابن المنذر في حكاية الإجماع: ٣ مسائل.
- عدد المسائل التي خالف فيها ابن حزم في حكاية الإجماع: ٩ مسائل.
- عدد المسائل التي خالف فيها ابن عبد البر في حكاية الإجماع: ٦ مسائل.
- كتاب إجماعات القاضي عياض في الفقه الإسلامي.

رسالة دكتوراه ١٤١٨هـ، د / صالح بن عثمان بن محمد العمري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة.

وقد استقرأ الباحث عددًا من كتب القاضي عياض، فاستخرج منها ٣١٢ حكاية إجماع على النحو التالي:

- كتاب إكمال المعلم بشرح مسلم: ٢٨٤ إجماعًا.
- كتاب التنبيهات: ١٧ إجماعًا.
- كتاب الشفا بحقوق المصطفى: ١٠ إجماعات.
- كتاب الإعلام بحدود وقواعد الإسلام: إجماع واحد.

عدد المسائل التي لم يتحقق فيها الإجماع في نظر الباحث: ٦ مسائل.

كما أن هناك عددًا من الجهود تبذل لاستقراء مؤلفات بعض أعلام أهل العلم لاستخراج حكايتهم للإجماع ودراستها، مثل:

- إجماعات ابن قدامة في كتاب المغني جمعًا ودراسة وقد تم في عدد من الرسائل الجامعية في جامعة أم القرى.
- وإجماعات ابن رشد الحفيد (دراسة وتحقيق من خلال كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد).
- والإجماعات الفقهية في فتح الباري للحافظ ابن حجر وقد تم في عدد من الرسائل في الجامعة اليمنية، وجامعة أم درمان الإسلامية
- ومن هذه الجهود أيضًا جمع جهود العلماء في نقض دعاوى الإجماع غير الصحيحة كرسالة الإجماعات الفقهية (من كتاب الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج) التي نقضها الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري للباحث: عثمان علي فارح.

أكبر مشروعات جمع الإجماعات ودراستها:

- وأكبر مشروعات جمع الإجماعات ودراستها فيما أعلم مشروع مسائل إجماع الفقه الإسلامي، وهو جمع لإجماعات خمسين كتابًا فقهيًا وحديثيًا.

وقد سجلت فيها ست عشرة رسالة دكتوراه في جامعة الملك سعود، وكان نصيب كل رسالة ثمان مئة إجماع، فيكون عدد الإجماعات المدروسة اثني عشر ألف وثمان مئة إجماع (١٢٨٠٠).

بل وهناك جهود تبذل لجمع الإجماعات في علوم أخرى غير الفقه كالإجماع في التفسير، وقد سبق إلى هذا العمل د: محمد عبد العزيز الخضيري، والإجماع في الأصول، وقد سبق إلى هذا العمل مصطفى بو عقل في كتابه: إجماعات الأصوليين (جمعاً ودراسة) وقد ذكر المصنف ١٢٥ مسألة في جميع أبواب الأصول صحت فيها دعوى الإجماع في نظره، وباقي المسائل التي جمعها لم تصح فيها هذه الدعوى.

وهذه الجهود وغيرها تنتظر من يجمع بينها في نظم واحد لتكون أيسر في التناول والتنظير، وهو جهد كبير لا يقوم به إلا المؤسسات العلمية.

هذا ما يسر الله لي ذكره في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله وحده، وإن كانت الثانية فأسأل الله أن يغفر لي خطئي وزللي.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

بشرية الرسول

قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ" (فصلت: ٦).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة، والصيام، والصدقة؟"، قالوا: بلى. قال: "صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة". (صحيح الأدب المفرد).

من فضائل الصحابة

بشهادات آل البيت

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: جاء رجل إلى أبي فقال: أخبرني عن أبي بكر قال: عن الصدِّيق تسأل؟ قال: وتسميه الصديق؟ قال: ثكلتك أمك، قد سمَّاه صدِّيقًا من هو خير منّي: رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-، والمهاجرون والأنصار فمن لم يسمِّه صدِّيقًا فلا صدَّق الله قوله". (سير أعلام النبلاء).

من دلائل النبوة

إخباره بميعاد الريح

عن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، فلما أتينا تبوك قال: «أما إنها ستهبُّ الليلةَ ريحٌ شديدة، فلا يقومن أحد، ومن كان معه بعير فليعقلها»، فعقلناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيء. (صحيح البخاري)

من أقوال السلف

عن أبي رباح شيخ من آل عمر قال: رأى سعيد بن المسيب رجلاً يصلي بعد العصر الركعتين يكثر، فنهاه عن ذلك فقال له: يا أبا محمد أيعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا ولكن يعذبك الله بخلاف السنة. (سنن الدارمي)

من حكمة الشعر

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابيًّا ينشد:

وإذا أظهرت أمرًا حسنًا
فليكنْ أحسن منه ما تُسرّ
فمُسرُّ الخير موسومٌ به
ومُسرّ الشرّ موسومٌ بشرّ.

(العقد الفريد)

حكم ومواعظ

عن محمَّد بن كعب القرظيّ: قال: إذا أراد الله بعبد خيرًا أزهده في الدّنيا، وفقَّهه في الدّين، وبصَّره عيوبه، ومن أوتيهنّ فقد أوتي خيرًا كثيرًا في الدّنيا والآخرة

(المنهاج في شعب الإيمان للحليمي)

إعداد/ علاء خضر

فوائد لغوية

الفرق بين شرقت الشمس وأشرقت الشمس! الأولى بمعنى " طلعت " والثانية بمعنى " أضاءت"، (وأشرقت الأرض بنور ربها)

من أمثال العرب

في الصدق

منه قولهم: من صدق الله نجا. ومنه قولهم: سبَني واصدق. وقالوا: الكذب داء، والصَدق شفاء. وقولهم: لا يكذب الرائد أهله، معناه أن الذي يرتاد لأهله منزلاً لا يكذبهم فيه. (العقد الفريد).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(السماء قبلة الدعاء) قال الشيخ الألباني: لم أقف له على أصل.. بل ظاهر كلام شارح "العقيدة الطحاوية": ابن أبي العز وغيره أن هذا الحديث المزعوم هو من قول بعض المؤولة، أو المعطلة الذين ينكرون علو الله على خلقه. (سلسلة الأحاديث الضعيفة).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم". (سنن النسائي)

من غريب الحديث

«اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر» أي: شدته ومشقته. وأصله من الوعث، وهو الرَّمْل، والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق. يقال: رمل أوعث، ورملة وعثاء. (النهاية لابن الأثير)

خلق سيئ فاحذره

قال الحسن- رضي الله عنه-: "إنَّ من الخيانة أن تحدِّث بسرِّ أخيك" (إحياء علوم الدين)

خلق حسن فالزمه

قال القرطبيّ- رحمه الله تعالى-: "إنّ من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار، بأن يوقِّر غيره، ويتوقّر هو في نفسه". (نضرة النعيم).

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

(الحلقة ٨٠)

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الطلاق في الحيض

الحلقة السادسة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: وصلنا في بحثنا في هذه المسألة إلى كيفية استخراج واستخدام القرائن بأنواعها المختلفة في التوجيه والترجيح، فذكرنا من القرائن العامة أولاً: أن الأحكام الشرعية لا تؤخذ من الأحاديث الضعيفة، وذكرنا الأحاديث الضعيفة التي وردت في ثنايا البحث واستبعدناها.

ثم ذكرنا ثانيًا: جمع روايات الحديث، حديث ابن عمر - العمدة في هذا الباب، وزيادة أبي الزبير، فذكرنا ثلاثة عناصر في هذه الجزئية ونستأنف البحث - بإذن الله تعالى-:

إعداد/ متولي البراجيلي

٤- رواية ابن حزم بسنده لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهى حائض لا يعتد بذلك (انظر المحلى ٣٧٥/٩)، فوجدنا رواية للحديث عند ابن أبي شيبة في المصنف أطول من ذلك: أن ابن عمر سأل عن طلاق المرأة وهي حائض: أيعتد بتلك الحيضة؟ فقال: لا. فهذه الرواية بينت أن السؤال لابن عمر لم يكن عن احتساب الطلقة من عدمه، إنما هو في احتسابها من عدة المطلقة أم لا. والحديث من نفس مخرج حديث ابن حزم (انظر مصنف ابن أبي شيبة ح ١٧٧٥٢).

٥- رواية الإمام مسلم لحديث ابن عمر (ح ١٤٧١) وفيه: أنه طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة، قال الإمام مسلم: جود الليث في قوله: تطليقة واحدة.

وهذه الرواية فيها الرد على من قال: إن لفظة (وهي واحدة) في الحديث تعود على الطلقة التي ستقع في الطهر بعد المراجعة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: لا قياس مع ورود النص الصريح:

القياس هو المصدر الرابع من مصادر التشريع عند الجمهور، وهو حجة، لكن حجته تكون عند عدم وجود نص خاص في المسألة، فإذا لم يوجد النص عمل بالقياس، ويكون هذا الحكم شرعيا ويسع المكلف اتباعه والعمل به. لكن إذا ورد في المسألة نص وهو قاطع للنزاع، يعني ليس نصا محتملا لعدة تأويلات، فهنا لا يجوز القياس، فالقياس كالتيمم عند فقد الماء. فكما يكون التيمم طهارة في السفر عند فقد الماء، فإذا ما وجد الماء- وهو النص- لم يجز التيمم.

وقد رأينا نصًا صريحًا وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما لسعيد بن جبير: حُسبت عليَّ تطليقة (صحيح البخاري).

وكذلك رواية سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما التي صرح فيها سالم عن أبيه قوله: فراجعتها وحُسبت لها التطليقة (صحيح مسلم).

يقول الحافظ ابن حجر في رده على ابن القيم: "ثم أطال من هذا الجنس- أي: القياس- بمعارضات كثيرة لا تنهض مع التنصيص على صريح الأمر بالرجعة، فإنها فرع وقوع الطلاق على تصريح صاحب القصة (ابن عمر) بأنها حسبت عليه تطليقة)، والقياس في معارضة النص فاسد الاعتبار" (فتح الباري ٩/ ٣٥٥).

ومن ذلك استدلالهم على عدم وقوع الطلاق في الحيض قياسا على قاعدة: النهي يقتضي الفساد(وقد فصلنا الكلام عن ضوابط هذه القاعدة في العدد ٧٩) ففي مسألتنا لا يقاس على هذه القاعدة، لماذا؟ لأنه سيكون استخداما لها مقابل النصوص التي تؤكد أن الطلقة قد احتسبت فالمشرع الذي نهى عن إيقاع الطلاق في الحيض، هو الذي أمر باحتساب تطليقة ابن عمر رضي الله عنهما، وبالتالي فلا مجال للقياس على هذه القاعدة في مسألتنا هذه.

رابعًا: الترجيح:

وهو تقوية أحد الدليلين على الآخر، ولا يصار إليه إلا بعد محاولة الجمع بين الأدلة المتعارضة فالجمع - إن أمكن- مقدم على الترجيح ولا يجوز ترجيح أحد الدليلين المتعارضين على الآخر بدون دليل. وأوجه الترجيح بين المتعارضين كثيرة جدا، لا يمكن حصرها، يقول الزركشي: "واعلم أن التراجيح كثيرة، ومناطها ما كان إفادته للظن أكثر فهو الأرجح، وقد تتعارض هذه المرجحات، كما في كثرة الرواة، وقوة العدالة وغيره، فيعتمد المجتهد في ذلك على ما غلب على ظنه" (البحر المحيط في أصول الفقه ٨/١٨١).

وقد استخدمنا في بحثنا - الطلاق في الحيض - وجهين من أوجه الترجيح:

١- الترجيح بكثرة الرواة وذلك في رواية أبي الزبير لحديث ابن عمر(ولم يرها شيئًا)، فقد روى الحديث جمع غفير عن ابن عمر بدون هذه الزيادة مثل: يونس بن جبير، وأنس بن سيرين، وطاوس، ونافع مولى ابن عمر، وسالم بن عبدالله بن عمر، وسعيد بن جبير... وغيرهم. يقول الحافظ ابن حجر: ولا شك أن الأخذ بما رواه الأكثر والأحفظ أولى من مقابله عند تعذر الجمع عند الجمهور (انظر فتح الباري (٣٥٤/٩).

٢- الترجيح بما ورد في الصحيحين عن غيرهما: فروايات حديث ابن عمر في الصحيحين، ليس فيها زيادة أبي الزبير (ولم يرها شيئًا).

٣- ترجيح رواية الأعلى رتبة (عدالة وضبطًا) على الأقل (عند تعذر الجمع): فقد رأينا من ترجمة أبي الزبير أن حاله لا يحتمل تفرده ومخالفته لكل من رووا حديث ابن عمر رضي الله عنهما، خاصة الأثبات في ابن عمر، كنافع مولاه، وسالم ابنه. بل رأينا أن الرواة عن أبي الزبير اختلفوا عليه في إثبات هذه الزيادة (ولم يرها شيئا).

٤- ترجيح رواية صاحب القصة على غيره: فلو روى صاحب القصة أو الواقعة حديثا وروى غيره حديثا يخالفه قدمنا صاحب القصة أو الواقعة، لأنه أدرى بها، فهي وقعت له، وهذا أدعى أن يضبطها ولا ينساها. وابن عمر صرح بأن الطلقة قد احتسبت عليه وكان إذا سُئل عن طلاق الحائض - كما في رواية نافع - يفتي باحتسابها.

خامسًا: لا يعارض الدليل الخاص في المسألة بالدليل العام:

إن لم يكن هناك دليل خاص في المسألة عمل بالدليل العام، لكن إذا ورد الدليل الخاص لا يحتج عليه بالعموم. وهذه المسألة ليست على إطلاقها، ومرد ذلك إلى أهل العلم المجتهدين الذين وقفوا على الشرع ويعلمون عمومه وخصوصه، فالغالب أن هؤلاء عندما يحتجون بالعموم فإنهم يعلمون عدم ورود دليل خاص

فيها، وفي الطلاق في الحيض احتج بعض أهل العلم بأدلة عامة منها حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (متفق عليه). وحديث... وكل بدعة ضلالة (مسلم وغيره)، وبعموم آيات الطلاق أمام حديث ابن عمر الذي هو نص خاص في المسألة.

سادسًا: الحمل على الحقيقة الشرعية مقدم على الحقيقة اللغوية:

تنقسم الألفاظ إلى أربعة أقسام: ١- حقيقة لغوية. ٢- حقيقة شرعية. ٣- حقيقة عرفية. ٤- مجاز. فاللفظ إن بقي على أصل وضعه لغة، فهذه الحقيقة اللغوية، فإن غيره الشرع انتقل إلى الحقيقة الشرعية. وإن كان من ناحية عرف الاستعمال فهو الحقيقة العرفية، وإن كان من قبل استعمال اللفظ في غير موضعه لدلالة قرينة عليه، فهو المجاز.

وكلامنا هنا ينصب على تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية عند التعارض، يقول شيخ الإسلام: ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم.

وقال: فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله فإنه شاف كاف (انظر مجموع الفتاوى ٢٨٦/٧- ٢٨٧).

وقد حمل بعض القائلين بعدم وقوع الطلاق في الحيض (المراجعة) في الحديث على المعنى اللغوي، كابن حزم وغيره، وتعقب بأن الحمل على الحقيقة الشرعية مقدم على اللغوية اتفاقا (انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ٣٥٣/٩).

سابعًا: عدم الإلزام في المسائل الخلافية طالما يحتملها الدليل:

فهذه المسائل تكون محل اجتهاد لأنه لم يأت فيها نص صريح (قطعي الدلالة)، وقد رأينا في بحثنا أن هناك من احتج على عدم احتساب الطلاق في الحيض بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر ابن عمر رضي الله عنهما بالإشهاد على مراجعته لامرأته، كما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولو كان الطلاق قد وقع لأمره بالإشهاد.

والإشهاد على الرجعة من الأمور الخلافية بين أهل العلم، فأكثر أهل العلم أن الإشهاد على الرجعة مستحب، وهو القول المروي عن ابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهما، فمن راجع امرأته ولم يُشهد صحت الرجعة. قال النووي: "إن الإشهاد على الرجعة ليس شرطًا ولا واجبًا في الأظهر" (انظر الموسوعة الفقهية ١١٣/٢٢- ١١٤).

ثامنا: رجوع الصحابة رضي الله عنهم فيما يقع لهم من أحداث إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

فالزمان زمان تشريع والنبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، يهرعون إليه في كل ما يجد لهم من وقائع وأحداث، في كبير الأمور وصغيرها، بل كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عما يرون في منامهم من رؤى وأحلام، فمن البعيد جدًا أن تقع واقعة طلاق ابن عمر لزوجته في الحيض، ويعلم أبوه عمر رضي الله عنه، عنها، ويذهب ويستفتي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرسول لا يفتيه بشيء، فيعود هو ليحتسب الطلقة على ابنه، أو يحتسبها ابنه على نفسه! كيف والزمان زمان تشريع؟ فقد كان الصحابة يستدلون على جواز أفعالهم بأنها وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حتى وإن لم يخبروه بها، لأن الله محيط بكل شيء.

كما يقول ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام (صحيح سنن الترمذي وغيره).

وكما قال جابر رضي الله عنه: كنا نعزل (أي عن النساء) والقرآن ينزل (متفق عليه).

لذا يقول الحافظ ابن حجر: "وإذا أخبر ابن عمر أن الذي وقع منه حسبت عليه بتطليقة، كان احتمال أن يكون الذي حسبها عليه غير النبي صلى الله عليه وسلم بعيدا جدا، مع احتفاف القرائن في هذه القصة بذلك. وكيف يتخيل أن ابن عمر يفعل في القصة شيئا برأيه، وهو ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم تغيظ من صنيعه" (فتح الباري ٣٥٣/٩).

تاسعًا: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال:

وليس معنى هذا أن الدليل لا يستدل به مع كل احتمال بل المراد الاحتمال القوي الذي احتفت به القرائن واعتضد بالاعتبارات لا بأي احتمال، لأنه ما من دليل إلا وتطرق إليه الاحتمال، ولو فتح باب الاحتمال لم يبق شيء من الأدلة إلا وسقط الاستدلال به بدعوى تطرق الاحتمال إليه.

ثم إن المراد بسقوط الاستدلال به أي على تعيين ذلك الوجه المراد الاستدلال به من الدليل، لا أن الاستدلال بالدليل يسقط جملة وتفصيلا (انظر: من أصول الفقه على منهج أهل الحديث. زكريا بن غلام قادر الباكستاني صـ ٣٤-٣٥).

وقد رأينا في قول ابن عمر ليونس بن جبير عندما سأله: أتعتد بتلك التطليقة؟ فقال: فمه، أو إن عجز واستحمق (متفق عليه). وهي كلمة تقال للزجر، لكن وجهها كل فريق لما يرى من رأيه، فالقائلون بوقوع الطلاق في الحيض - وهم الجمهور - قالوا معناه: فأي شيء يكون إذا لم يعتد بها، إنكارا لقول السائل: أيعتد بها؟ أفيسقط عنه وقوع الطلاق في الحيض حمقه وعجزه.

والفريق الآخر القائلون بعدم وقوع الطلاق في الحيض، وجهووا الحديث توجيها آخر: وهو أنه فعل فعلا يصيره أحمق عاجزا فيسقط عنه حكم الطلاق عجزه أو حمقه (انظر فتح الباري ٣٥٢/٩).

وإن كان التوجيه الأول للحديث وهو ما ذهب إليه الجمهور أرجح من حيث السياق إلا أن النص ليس صريحًا لكل من المؤيدين والمعارضين، لاحتمال أن يحمل على هذا أو ذاك.

عاشرا: لا يدفع اليقين بالاحتمال:

وهذا تفريع على القاعدة الفقهية الكبرى اليقين لا يرفع (لا يزول) بالشك، ففي رواية ابن أبي ذئب لحديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: وقال ابن أبي ذئب أنه سمع سالما بن عبدالله بن عمر يحدث بذلك. (كما أخرج ذلك ابن وهب في مسنده) وقد أورد بعض العلماء هذه الرواية على ابن حزم فأجابه، بأن قوله: (هي واحدة) لعله ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فألزمه بأن نقض أصله؛ لأن الأصل لا يدفع بالاحتمال (انظر فتح الباري ٣٥٣/٩).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

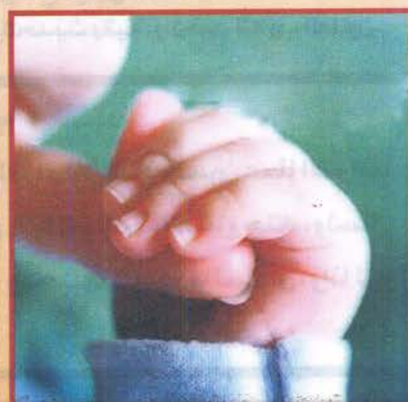
تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء للأستاذ حسين عطا القراط مدير التحرير بالمجلة في وفاة المغفور لها بإذن ربها السيدة والدة زوجته، ونسأل الله أن يتغمدها بواسع رحمته وأن يلهم أهلها ومحبيها الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عزاء واجب

توفي الشيخ عبد الكريم عبد المجيد حسن- رحمه الله تعالى- رئيس فرع أنصار السنة بحلوان، وكان رحمه الله من قدامى رجال جمعية أنصار السنة المحمدية، نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مَنْزِلَةُ الأُمِّ فِي الإِسْلامِ

إعداد/ د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف



الحمد لله الذي علم وألهم حمد من آمن به وأسلم، وفوض إليه أمره وسلَّم، وانقاد لأوامره واستسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على نبينا محمد خاتم أنبيائه وفاتح أوليائه وسيد أصفيائه فأنعم به وأكرم وبعد:

فَهذِهِ مَقَالَةٌ كَتَبْتُهَا صَبِيحَةَ وَفَاةِ وَالِدَتِي - بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَهَا - بَعْدَ أَنْ جَاءَنِي الْخَبَرُ يَجُرُّ النَّفِيرَ، وَيُهَيِّجُ الزَّفِيرَ، وَقَدْ هَمْهَمَتِ النَّفْسُ بِالصُّعَدَاءِ، وَجَرَى مِنَ الْعَيْنِ الدَّمْعُ وَغَلَبَنِي الْبُكَاءُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ بِالنِّدَاءِ؛ فَتَعَوَّذْتُ بِاللهِ مِنَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ، وَأَخَذْتُ بِلِجَامِ الْقَلَمِ قَبْلَ أَنْ يَضْطَرِبَ وَيَلْحَقَهُ السُّقُوطُ، وَاسْتَعَنْتُ بِرَبِّي الْبَصِيرِ فَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

وَهِيَ مَقَالَةٌ تُنْبِئُ الْبَصِيرَ الْحَاذِقَ وَالْغُفْلَ الرَّيِّضَ عَلَى السَّوَاءِ بِقِيمَةِ الأُمِّ وَفَضْلِهَا، وَعَظِيمِ الأَجْرِ وَالْمَثُوبَةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى الْبِرِّ بِهَا، لاسِيَّمَا وَنَحْنُ فِي زَمَانٍ كَسَدَتْ فِيهِ سُوقُ الْبِرِّ، وَخَوَى فِيهِ نَجْمُ الْخَيْرِ، وَبَارَتْ بَضَائِعُ أَهْلِهِ.

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ كَلِمَاتٍ مِنْ غُرَرِ الْعَرَبِيَّةِ وَعُيُونِ أَلْفَاظِهَا- الَّتِي هِيَ أَدَاةُ الْعِلْمِ وَآلَتُهُ وَمِفْتَاحُ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَسَبَبُ إِصْلاحِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ (فقه اللغة وسر العربية؛ ص ١٥ لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي)- تَفِيضُ مَعَانِيَ وَفُهُومًا، وَتَحْوِي نَصَائِحَ وَعُلُومًا.

كَمَا أَنَّ فِيهَا مِنْ وَصْفِ قَدْرِ الأُمِّ وَجَلالَةِ مَنْزِلَتِهَا وَكَرِيمِ شَأْنِهَا مَعَانٍ بَاكِيَةٌ، عَبَّرْتُ عَنْهَا بِأَلْفَاظٍ وَافِيَةٍ تَجْعَلُهَا تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ.

وَأَرْجُو أَنْ لا تَغِيضَهَا نَفَقَةٌ وَلا يُنْقِصَهَا بَذْلٌ وَلا عَطَاءٌ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ يَزْكُو بِالإِنْفَاقِ وَالسَّخَاءِ وَيَزِيدُ بِالْجُودِ وَالْعَطَاءِ، بَيْنَمَا الْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ.

وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا عَلَّمَ وَأَلْهَمَ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى مَا أَوْلَى بِهِ وَأَنْعَمَ، وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ مَعَ الشُّكْرِ فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ، وَمِنَ اللهِ أَسْتَمِدُّ السَّدَادَ وَأَسْتَلْهِمُهُ تَعَالَى التَّوْفِيقَ لِسُلُوكِ سَبِيلِ الرَّشَادِ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ كَرِيمٌ جَوَّادٌ.

مَنْزِلَةُ الأمِّ

إنَّ مَنْزِلَةَ الأُمِّ في الإسْلامِ رَفِيعَةٌ في قَدْرِهَا، عَالِيَةُ السَّنَامِ في فَضْلِهَا، عَظَّمَ الإسْلامُ شَأْنَهَا، وَأَعْلَى مَقَامَهَا، وَفَضْلُهَا أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، وَأَعْرَفُ مِنْ أَنْ يُنْكَرَ.

وَعَلَى هَذَا تَعَاضَدَتْ الآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ وَتَنَاصَرَتْ الأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ السَّنِيَّاتُ؛ فَطُوبَى لِمَنْ انْتَبَهَ لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ وَأَخَذَ بِزِمَامِهَا وَعَمِلَ عَلَى إحْيَائِهَا.

وَقَدْ جَاءَ لَفْظُ «الأُمِّ» صَرِيحًا في كِتَابِ اللهِ تَعَالَى في سَبْعَةِ مَوَاضِعَ وَفي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى الأَهَمِّيَّةِ.

الأَوَّلُ: «قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» (المائدة-١٧). والثاني: «مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ (٥)» المائدة.

والثالث: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ» (المائدة-١١٦).

والرابع: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» (المؤمنون-٥٠).

والخامس: «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» (لقمان-١٤).

والسادس: «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (الأحقاف-١٥).

والسابع: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ» (عبس-٣٥).

مِنْ مَعَانِي لَفْظَةِ «الأمِّ» في الْعَرَبِيَّةِ:

الأُمُّ بِمَعْنَى أَصْلِ الشيء وَأَصْلِ وُجُودِهِ وإصْلاحِهِ وَتَرْبِيَتِهِ، فهي اسم يطابق مسماه ولفظ يوافق معناه.

الأم أصل راسخ وفرع شامخ ومجد باذخ وعنصر نفيس كريم ومعدن في النفاسة صميم.

قَالَ الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ:

الأُمُّ بِإزَاءِ الأَبِ، وَهِيَ الْوَالِدَةُ الْقَرِيبَةُ الَّتِي وَلَدَتْهُ، وَالْبَعِيدَةُ الَّتِي وَلَدَتْ مَنْ وَلَدَتْهُ.

وَلِهَذَا قِيلَ لِحَوَّاءَ: هِيَ أُمُّنَا، وَإنْ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا وَسَائِطُ.

وَيُقَالُ لِكُلِّ مَا كَانَ أَصْلاً لِوُجُودِ شَيْءٍ أَوْ تَرْبِيَتِهِ أَوْ إصْلاحِهِ أَوْ مَبْدَئِهِ أُمٌّ.

قَالَ الْخَلِيلُ: كُلُّ شَيْءٍ ضُمَّ إلَيْهِ سَائِرُ مَا يَلِيهِ يُسَمَّى أُمًّا، قَالَ تَعَالَى: «وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ» (الزخرف: ٤) أي: اللوح المحفوظ وذلك لكون العلوم كلها منسوبة إليه ومتولدة منه. وقيل لمكة: أم القرى، وَذَلِكَ لِمَا رُوِيَ: (أَنَّ الدُّنْيَا دُحِيَتْ مِنْ تَحْتِهَا)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا» (الأنعام: ٩٢)، وَأُمُّ النُّجُومِ: الْمَجَرَّةُ. قَالَ:

بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكُ

وَقِيلَ: أُمُّ الأَضْيَافِ وَأُمُّ الْمَسَاكِينِ، كَقَوْلِهِمْ: أَبُو الأَضْيَافِ، وَيُقَالُ لِلرَّئِيسِ: أُمُّ الْجَيْشِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَأُمُّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدتُ نُفُوسَهُمْ.

وقيل لفاتحة الكتاب: أم الكتاب لكونها مبدأ الكتاب. وقوله تعالى: «فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ» (القارعة: ٩)، أي: مثواه النار فجعلها أمًا له، قال: وهو نحو «مَأْوَاكُمُ النَّارُ» (الحديد: ١٥).

وسمّى الله تعالى أزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين فقال: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» (الأحزاب: ٦) لما تقدّم في الأب. اهـ. (المفردات: ٢٢ – ٢٣).

الأم صبح شامس ونور يبدد ظلام كل ليل دامس، كأن الشمس تجري في جبينها والغمام من يمينها

الأم بركة من بركات الدنيا إذ تكون الأمور صعابًا فإذا انتهت إليها ذابت الصعاب وذللت الهضاب وَحَلَّ الْعَذَابُ مَحَلَّ الْعَذَابِ.

وَقَدْ يَكُونُ الشَّيْءُ كَأَنَّمَا ضُرِبَتْ عَلَيْهِ الأَقْفَالُ، وَوُضِعَتْ عَلَيْهِ الأَغْلالُ؛ فَهُوَ دُونَ صَاحِبِهِ مُرْتَجٌ، وَأَمَامَ طَالِبِهِ مُغْلَقٌ، فَمَا تَقُومُ الأُمُّ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَيُصْبِحَ سَهْلاً وَيُضْحِيَ وَيَبِيتَ ذَلُولاً مَيْسُورًا.

كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

يَكُونُ أُجَاجًا دُونَكُمْ فَإِذَا مَا انْتَهَى
إِلَيْكُمْ تَلَقَّى نَشْرَكُمْ فَيَطِيبُ

إنَّ الأُمَّ نِعْمَةٌ لا يُؤَدِّي شُكْرَهَا إلاَّ مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا وَذَلَّلَ لَهُ سُبُلَ الْخَيْرَاتِ ذُلُلاً.

الأُمُّ مَحَاسِنُ جَمَّةٌ وَأَيَادِي بَيْضَاءُ وهذه حقيقة

لا تُنقض وحجة لا تُدحض فكم أعطت وكم جادت؟!
الأمُّ زهرةٌ عبقةٌ وروضةٌ نضرةٌ يفوحُ منها شذا الرّياحين الفيّاح.
الأمُّ حصنٌ حصينٌ وركنٌ ركينٌ وأصلٌ أصيلٌ بان فضلُه ومتُن حبلُه.
الأمُّ دعاءٌ مُستجابٌ وثناءٌ مُستطابٌ فكمْ فازَ بدعْوتها فائزٌ، وحازَ الخيْرَ برضاها حائزٌ، بيْنما خسر دُعاءها آخرونَ ورجعوا بخُفّيْ حُنيْنٍ وصفقة المَغْبُونِ فكمْ يكونُ البَوْنُ والبُعْدُ بيْنهُما؟ فاللهم لا تحرمنا فضلك وجودك يا منان.
الأمُّ نورٌ سناهُ لا يتناهى بلْ يمْحو دُجى اللّيْل إذا يغْشاها.
إنّ الأمّ لفظةٌ نقيّةٌ وكلمةٌ تقيّةٌ ومعانٍ في البرّ والعطْف والإحْسان لا مزيْدَ عليْها، فمهْما طال من المرْء في البرّ باعُهُ ورحُبَ في النّفع ذراعُهُ لا يَبْلُغ مداها ولا يُوفيها حقّها ولا معناها فشكرَ اللهُ مسْعاها وآتاها سُبُلَها وهُداها.
إنّها كلمةٌ يتضاءلُ دُونَ معْناها كُلُّ شيءٍ؛ فهي كالشّجرة الّتي أوراقُها ونبقُها كقلالِ هجرٍ حاميةٌ على السّواء من الحرّ والطّلّ، عظيمةُ الظّلّ، يأوي إلى ظلّها منْ لفحهُ هجيرُ الحياة، أوْ آذاهُ لظاها، ويؤُمُّها القاصي والدّاني فلا تردُّ سائلها ولا تُخجلُ قائلها، تقْرأُ على صفْحة وجْهها مخائلَ الكرم، وتلْحظُ في كفّها شمائلَ الجُود، وتلْمحُ في قسماتها سماتِ وآياتِ الشّيَم.
الأمُّ خلْقٌ عظيمٌ ومعْنًى جسيمٌ، جمّةُ الفواضل كثيرةُ النّوافل، راسخةُ العرْق طيّبةُ العذْق، بلْ هيَ شيءٌ معْطاءٌ تمْنحُ قبْلَ السُّؤال وتُنيلُ فوْقَ ما تُسْتنالُ، تبْذُلُ ما يضنُّ به النّاسُ، وتسْمحُ بما تشحُّ به النُّفوسُ، فهيَ في جُملتها جُودٌ بغيْر منٍّ، وإحْسانٌ بلا ضنٍّ.
الأمُّ قدْرٌ عالٍ وشيءٌ غالٍ، سنيّةُ المبْنى سميّةُ المعْنى، هيَ للدُّنيا شمْسُ ضُحاها وبدْرُ سناها ونجْمُ دُجاها.
الأمُّ ميزانُ عدْلٍ لا يجدُ المرْءُ في نفْسه حرجًا ممّا تقْضيه ولا في صدْره ضيقٌ ممّا تُمْضيه.
الأمُّ شفاءُ العلل ورواءُ الغُلل وبلّةُ الصّدى ونقاءُ قطْر النّدى.

لقدْ قضتْ في الخدْمة والرّعاية ما لمْ يقْضه غيْرُها في حمْلٍ ووضْعٍ ورضاعٍ وفطامٍ وإطْعامٍ ورعايةٍ وعنايةٍ فيها غُنْيةٌ وكفايةٌ حتّى يسْتوي الولدُ على الأشُدّ وهذا بلا ريْب عُمْرُ إنْسانٍ فهلْ يسْتوي منْ قضى في شأْن عددَ سنين ومنْ قضى فيه يوْمًا أوْ بعْضَ يوْمٍ؟! حقًّا، إنّها عطاءٌ جزْلٌ، وإحْسانٌ فضْلٌ لا عدْلٌ.
الأمُّ أدبٌ جمٌّ، وروحٌ ترْفعُ الهمّ وتُزيلُ الغمّ، تُؤدّبُ وتُهذّبُ، وتُعلّمُ وتُنشئُ الجيلَ وتُربّي فاظفرْ بها تربتْ يمينُك، فإنّ منْ فاتهُ أدبُ الأمّ وخُلُقُها الحسنُ فقدْ فاتهُ خيْرٌ كثيرٌ سيندمُ عليْه لا محالةَ.
كما قال القائلُ:

ومن لمْ يُؤدّبْهُ أبوهُ وأمُّهُ
تُؤدّبْهُ روعاتُ الرّدى وزلازلُهْ

وقدْ لا يُجْدي ذلك لفوات زمانه وذهاب أوانه كما قال بعْضُهُمْ:

يُقوّمُ منْ ميْل الغُلام المُؤدّبُ
ولا ينْفعُ التّأْديبُ والرّأْسُ أشْيبُ

فقدُ الأمّ

فقدُها يُعدُّ خسارةً كبيرةً يُورثُ حسْرةً ويُجْري عبْرةً، ووفاتُها رُزْءٌ أصابَ وهمٌّ أناخ بالْباب، وبابُ إلى الجنّة أُغْلق دُون صاحبه.

وكُلُّ مُلمّات الزّمان وجدْتُها
سوى فُرْقة الأحْباب هيّنةُ الخطْب

وعنْد فقْدها ترْتفعُ الأصْواتُ بالْبكاء ويكْثُرُ الضّجيجُ حتّى إنّ المرْءَ ليُخيّلُ إليْه أنّ الدُّنْيا كلّها منْ حوْله تبْكي بُكاءً واحدًا، وليْس هذا بعجيبٍ فإنّ منْ لمْ يبْك على فقْدها متى يبْكي وعلى منْ يبْكي؟

إذا لمْ يُغبّرْ حائطٌ في وُقوعه
فليْس لهُ بعْدَ الوُقوع غُبارُ

فقْدُ الأمّ كسراجٍ خبا وثوْبٍ بليَ ومصْباحٍ انْطفأ بلْ هُو حسْرةُ الأبد وجمْرةٌ لا تنْطفئُ بلْ تتّقدُ.

فضْلُ الأمّ وفضْلُ برّها في السُّنّة المُطهّرة

للأُمّ فضائلُ لا تُحْصى ومناقبُ لا تُسْتقْصى، فهيَ:
بابٌ إلى الجنّة بل الجنّةُ عنْد رجْليْها.
وكفى بهذه الفضيلة منقبة بكرًا تدل على نفاسة بر الأم وكونه عملاً عظيمًا.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء، أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطلاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ». (رواه الترمذي(١٩٠٠) وابن ماجه (٢٠٨٩) وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ).

وروى ابن حبان في صحيحه من طريق عَطَاء بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ: أَنَّ رَجُلاً أَتَى أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي لَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى تَزَوَّجْتُ، وَإِنَّهُ الآنَ يَأْمُرُنِي بِطلاقِهَا، قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تَعُقَّ وَالِدَكَ، وَلاَ أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تُطَلِّقَ امْرَأَتَكَ، غَيْرَ أَنَّكَ إِنْ شِئْتَ، حَدَّثْتُكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُهُ، يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَحَافِظْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ، أَوْ دَعْ»، قَالَ: فَأَحْسِبُ عَطَاءً، قَالَ: فَطَلَّقَهَا. (صحيح ابن حبان: ٤٢٥).

وَعَن طَلْحَة بن مُعَاوِيَة السّلمِيّ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: أتيت النَّبِي صلى الله عَلَيْه وَسلم فَقلت يَا رَسُول الله إِنِّي أُرِيد الْجِهَاد فِي سَبِيل الله قَالَ: أمك حَيَّة، قلت: نعم قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْه وَسلم: « الزم رجلهَا فثم الْجنَّة». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي الْكَبِير (٨١٦٢) وهو صحيح).

تُوصَلُ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ وَتُبَرُّ وَهِيَ عَلَى نَقِيضِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ.

الشرك بالله يقطع الأواصر الممتدة النواحي المتشعبة الأطراف والنوادي غير أنه لا يفصمُ العرى بين المرء ووالديه إذ إنهما أصل وجوده وسر لحوقه بالحياة والله أعلم.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيّ (٢٦٢٠) وَمُسلم (١٠٠٣).

وَأَبُو دَاوُد وَلَفظه عَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَهِيَ رَاغِمَةٌ مُشْرِكَةٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ، وَهِيَ رَاغِمَةٌ مُشْرِكَةٌ، أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَصِلِي أُمَّكِ». قال المنذري: راغبة: أي طامعة فيما عندي تسألني الإحسان إليها، راغمة: أي كارهة للإسلام.

صِلَتُهَا كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ وَبِرُّهَا مَحْوٌ لِلْخَطَايَا.

إِنَّ كَفَّارَةَ الذُّنُوبِ مَطْلَبٌ عَظِيمٌ لاَ يَنْطَوِي إِلاَّ عَلَى خَيْرٍ وَلاَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِهِ بَلْ لاَبُدَّ أَنْ يُنَقَّوْا مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيُمَحَّصُوا مِنْ خَطَايَاهُمْ.

قَالَ تَعَالَى: « إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » (الملك -١٢).

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

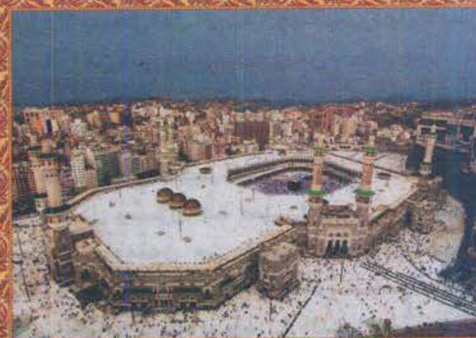
عَن ابْن عمر رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ أَتَى النَّبِي صلى الله عَلَيْه وَسلم رجل فَقَالَ إِنِّي أذنبت ذَنبا عَظِيما فَهَل لي من تَوْبَة فَقَالَ هَل لَك من أم قَالَ لَا قَالَ فَهَل لَك من خَالَة قَالَ نعم قَالَ فبرها.

رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَاللَّفْظ لَهُ وَابْن حبَان فِي صَحِيحه وَالْحَاكِم إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا هَل لَك والدان بالتثنية وَقَالَ الْحَاكِم صَحِيح على شَرطهمَا.

وَعن طَيْسَلَةَ بْنِ مَيَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّجَدَاتِ، فَأَصَبْتُ ذُنُوبًا لاَ أَرَاهَا إِلاَّ مِنَ الْكَبَائِرِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لاِبْنِ عُمَرَ. قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ مِنَ الْكَبَائِرِ، هُنَّ تِسْعٌ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ نَسَمَةٍ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَإِلْحَادٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالَّذِي يَسْتَسْخِرُ، وَبُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ، قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: أَتَفْرَقُ النَّارَ، وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قُلْتُ: إِي، وَاللَّهِ! قَالَ: أَحَيٌّ وَالِدُكَ؟ قُلْتُ: عِنْدِي أُمِّي. قَالَ: فَوَاللَّهِ! لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الْكَلاَمَ، وَأَطْعَمْتَهَا الطَّعَامَ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ. (الأدب المفرد: (٨) وهو حديث صحيح).

نسأل الله العظيم أن يرحم آباءنا وأمهاتنا، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

باب العقيدة



قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة

إعداد/ د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه كلمات يسيرات في قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، فنقول وبالله تعالى التوفيق: خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد:

امتاز أهل السنة والجماعة في مسائل الدين - أصوله وفروعه- بخصائص جعلتها أكثر موافقة للحق وإصابة له.

الخاصية الأولى: وحدة المصدر:

فوحدة المصدر من أميز مناهج أهل السنة والجماعة وخصائصهم، وهي: أن السلف الصالح (رضوان الله عليهم) كانوا لا يتلقون أمور دينهم إلا عن مشكاة النبوة، فلا يعتمدون على العقل أو الذوق أو الكشف، بل هذه الأمور إن صحت ووافقت الصحيح كانت معضدة لحجة السمع -ونعني بحجة السمع الكتاب والسنة- فكيف إذا عارضت هذه الأمور دلائل الكتاب والسنة، وكانت أكثرها جهالات وخيالات فاسدة.

قال الإمام الحافظ ابن عبد البر- رحمه الله تعالى-: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتابه الله، أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له، ولا يناظر فيه. يعني: يتلقى كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم.

الخاصية الثانية: المنهج توقيفي:

هو منهج يقوم على التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، لا يردون منها شيئًا، ولا يعارضونها بشيء، لا بعقل، ولا ذوق، ولا منام، ولا غير ذلك، بل يقفون حيث تقف بهم النصوص، ولا يتجاوزونها إلى إعمال رأي أو قياس أو عقل أو ذوق؛ لأن هذا هو معنى أن منهج أهل السنة منهج توقيفي. لماذا؟ لأن هذا المنهج التوقيفي يعني أنه موقوف على الوحي الرباني، وقد التزم أهل السنة والجماعة بهذا المنهج، واستندوا على ذلك بقول الله- تبارك

وتعالى-: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (الحجرات: ١)

الخاصية الثالثة: أنهم كانوا يتجنبون الجدل والخصومات في الدين:

وبناء على ذلك كان لهم موقف واضح وصريح في مسائل الاعتقاد، من الجدل والخصومات، حتى عدوا الكلام والتمحل فيها من البدع، التي شددوا النكير على مقترفيها، وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، وذلك كالكلام في رأي جهم الذي قد حمل لواء إنكار صفات الله عز وجل وكذلك الكلام في القدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إلي؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في دين الله إلا فيما تحته عمل.

الخاصية الرابعة: الاتفاق في مسائل العقيدة:

لقد كان من ثمرة صحة المنهج وصدق قضاياه: أن يتفق أهل السنة على مسائل الاعتقاد مع اختلاف أعصارهم، وتباعد أمصارهم.

يقول الإمام الأصبهاني رحمه الله: ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بُلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا.

القاعدة الأولى من قواعد الاستدلال عند أهل السنة والجماعة: الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة

(أ) فقه القاعدة:

إن أهل الإسلام جميعًا آمنوا أن الله تعالى ربهم ومليكهم، وأنه حكيم عليم، قدير رحمن رحيم، أرسل الرسل لهدايتهم، وأنزل معهم الكتاب والميزان؛ فما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله فالله أخبر به، وهو سبحانه إنما يخبر بعلمه، ويمتنع أن يخبر بنقيض علمه، وما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من حكم الله، والله أمر به، وهو العليم الحكيم. قال رب العالمين (تبارك تعالى): «لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا» (النساء: ١٦٦).

وهذا يقتضي أن ما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم حق من عند الله يوافق علم الله ومراده؛ فالواجب على كل أحد أن يقابل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه بالتصديق الجازم والتسليم المؤكد، وأن يقابل ما أمر به أو نهى عنه بالطاعة والانقياد؛ فمن قَبِل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما أخبر به، فعن الله قَبِل، ومن أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به فقد أطاع الله.

والإيمان بنصوص الكتاب والسنة على ضربين:

أحدهما: إيمان مجمل: وهذا من فروض الأعيان؛ يعني: أنه يجب على كل أحد ممن أسلم وجهه لله تعالى، ورضي بالإسلام دينًا، وبالرسول (صلى الله عليه وسلم- نبيًا ورسولاً، الإيمان بنصوص الكتاب والسنة، سواء أظهرت له معانيها، ووضحت مدلولاتها أم لا، فهذا حظ العامة، ومن لا يفهم العربية ومن في معناهما ممن اشتبه عليه معنى آية أو حديث.

ثانيهما: الإيمان المفصل: وهذا من الفروض الكفائية وهو خاص بكل من قام عنده الدليل، وبان له المدلول، وظهر معناه فإذا حصل ذلك عنده صار الإيمان في حقه فرضًا متعينًا، وإلا فالأصل فيه أنه كفائي.

قال شارح (الطحاوية): ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل فرض على الكفاية؛ لكن من قدر عليه وجب عليه تحصيله، طلبًا لحماية الدين، وكفاية المسلمين بتعليمهم وتفهيمهم إياه، وهو بحر تتفاوت فيه همم الطالبين، وتتطاول عنده أعناق الراغبين، وبقدر المعرفة به تكمل المعرفة بالله وبدينه، قال الله تبارك تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (المجادلة: ١١).

(ب) أدلة هذه القاعدة:

أولاً: القرآن الكريم:

أ- قال تعالى: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (النساء: ٦٥)، فهذا قسم من الله تعالى بذاته الكريمة، مما يدل على عظم الأمر المقسم عليه وخطورته، مع تقدم «لا» على القسم وهي تدل على النفي وتظهر قوة هذا القسم، ثم أيضا أنها كررت بعد القسم؛ زيادة في التأكيد على النفي: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» ثم قال بعد ذلك: «حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» فنفى الله تعالى الإيمان عن كل أحد، وعلق حصوله ووقوعه على التحاكم للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في جميع الأمور الإخبارية والإنشائية وغير ذلك من الأدلة.

ثانيًا: السنة النبوية المطهرة:

أ- ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنه قال: «لقد جلست أنا وأخي مجلسًا، ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبًا، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضًا، بل يصدق بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه». وهذا الحديث يفيد: أن نؤمن ونسلم لجميع ما ورد عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ب- ما ذكره الإمام الترمذي- رحمه الله تعالى- في «سننه» عن أبي رافع وغيره، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه يقول: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به، أو نهيت عنه؛ فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه» ففي هذا الحديث الإنكار الشديد على من آمن وصدق بالكتاب دون السنة، إذ هو تفريق بين الله ورسله، وإيمان ببعض وكفر ببعض، وعقد الإيمان يقتضي التصديق بجميع ما بلغه وأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من آيات الله والحكمة.

(ج) فوائد الالتزام بهذه القاعدة:

الفائدة الأولى: تحقيق معنى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبر ويأمر به شرط في تحصيل الإيمان، قال تعالى: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (النساء: ٦٥).

الفائدة الثانية: مجانبة مسالك الأمم الضالة، الذين ردوا على الرسل ما أخبروا به، واعترضوا عليهم بالاعتراضات الباطلة، كما قالت اليهود لموسى (عليه الصلاة والسلام): «لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» (البقرة: ٥٥)، فكل من أوقف الإيمان بالنصوص على شيء خارج منها كان فيه شبه من اليهود، وكذا ممن قال: «لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ» (الأنعام: ١٢٤).

الفائدة الثالثة: بطلان كون العقل وحده يستقل في تحصيل المعرفة الدينية، أو كونه شرطا في تحصيلها، بحيث لا نؤمن بالنص حتى يوافقه العقل فيما دل عليه، ويقال هذا أيضا في الكشف والذوق، فالعقل ليس شرطا في أن يفهم ما جاء عن الله- تبارك وتعالى- ويدرك حقيقته، بل عليه أن يسلم، وأن يكل علمه إن اختلط عليه فهم شيء من ذلك إلى عالمه.

الفائدة الرابعة: من جعل الإيمان بالنصوص موقوفًا على موافقة العقل أو الذوق، لا فرق عنده بين وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ووجود أخباره، وبين عدم وجوده وعدم وجود أخباره، وكان ما يذكر من القرآن والحديث والإجماع في هذا الباب عديم الأثر عنده، (والعياذ بالله تعالى) ومعنى ذلك: أن من لم يسلم للنصوص، ويوافق لها، ويشترط أن يقبل عقله هذا النص أو يجده في قلبه أو يميل إليه بذوقه أو غير ذلك، إذن هذا لم يسلم في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق عنده بين إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم من عدمه؛ لأن إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم عنده لم يستفد من ورائه شيئًا.

وللحديث بقية إن شاء الله

والحمد لله رب العالمين.

الخوارجُ شَرُّ الخليقة

ما الذي فعله معهم أمير المؤمنين عليٌّ قبل قتالهم؟

الحلقة الثالثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فقد وصلنا في الحلقة الماضية إلى الصفة الثامنة عشرة من صفات الخوارج وهي اختلاف العلماء في ثبوتها بهم وهي الكفر، وذكرنا قول الخطابي بإجماع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين.

ولضيق المساحة المتاحة للمقال لم نذكر قول ابن حجر في فتح الباري وهو يشرح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج حيث يقول:

إعداد/ جمال عبد الرحمن

وفي الحديث أَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يقصد الْخُرُوجَ مِنْهُ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْتَارَ دِينًا عَلَى دِينِ الإِسْلَامِ، وَأَنَّ الْخَوَارِجَ شَرُّ الْفِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَمِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. قُلْتُ: وَالأَخِيرُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْقَوْلِ بِتَكْفِيرِهِمْ مُطْلَقًا.

وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِعُمَرَ لِشِدَّتِهِ فِي الدِّينِ.

وَفِيهِ أَنَّهُ لَا يُكْتَفَى فِي التَّعْدِيلِ بِظَاهِرِ الْحَالِ وَلَوْ بَلَغَ الْمَشْهُودُ بِتَعْدِيلِهِ الْغَايَةَ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّقَشُّفِ وَالْوَرَعِ حَتَّى يُخْتَبَرَ بَاطِنُ حَالِهِ. قلت: يعني مهما بلغ مظهر الرجل وكلامه وعباداته وشعاراته فلا يكفي ذلك لتعديله والقول بهدايته إلى الطريقة الشرعية حتى يُعرض حاله ومقاله على منهج السلف ويوافقه وإلا فلا.

نفوسهم ليست محترمة في الشرع:

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ مِنْ طَرِيقِ الْفَرَزْدَقِ الشَّاعِرِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبَا سَعِيدٍ وَسَأَلَهُمَا فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَإِنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ عَلَيْنَا، يَقْتُلُونَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤَمِّنُونَ مَنْ سِوَاهُمْ فَقَالَا لِي سَمِعْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي:

الصفحة ١٩:

" مَنْ قَتَلَهُمْ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ وَمَنْ قَتَلُوهُ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ ".

ومع ذلك لم يهدر الشرع دمهم حتى يحملوا السيف.

فَهَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ نَفْسًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالطُّرُقُ إِلَى كَثْرَتِهِمْ مُتَعَدِّدَةٌ كَعَلِيٍّ وَأَبِي سَعِيدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَأَبِي بَكْرَةَ وَأَبِي بَرْزَةَ وَأَبِي ذَرٍّ فَيُفِيدُ مَجْمُوعُ خَبَرِهِمُ الْقَطْعَ بِصِحَّةِ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٠٢).

ما الذي فعله معهم أمير المؤمنين عليٌّ قبل قتالهم؟

قال ابن عباس: إنه لما اعتزلت الخوارج؛ (قوله: "اعتزلوا"، قال السندي: أي: اعتزلوا عن جماعة المسلمين الذين كانوا مع علي، وكانوا أولاً معهم، وقالوا: لو كان علي أمير المؤمنين، كيف محا اسمه ذلك من كتاب الصلح الذي جرى

بينه وبين معاوية).

لما اعتزلت الخوارجُ دخلوا داراً وهم ستة آلاف، وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معه. قال: وكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك- يعني عليًا- فيقول: دَعُوهُم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون. قال ابن عباس: فلما كان ذات يوم، أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبردْنا بصلاة، (أي انتظر قليلاً عن إقامة الصلاة) لَعَلي أدخلُ على هؤلاء القوم (الخوارج) فأكلمَهم.

الصفة ٢٠ (دمويون معتدون لا يؤمَن جانبهم)

فقال علي: إني أخافهم عليك. فقلت: كلا، وكنت رجلاً حَسَنَ الخُلُق لا أوذي أحداً، فَأذن لي، فلبست حُلة من أحسنَ ما يكون من اليمن، وتَرَجلتُ، ودخلتُ عليهم نصفَ النهار، فدخلتُ على قوم.

الصفة ٢١ (شدة عبادتهم)

لم أر قوماً قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قَرِحَت من السجود، وأيديهم كأنها ثَفِنُ الإبل (أي: ركبها الغليظة)، وعليهم قُمُصٌ مُرحضَة (أي: مغسولة)، مشمرين مُسَهَّمَة وجوههم (أي: متغيرة ألوانها) من السهر، فسلمتُ عليهم، فقالوا: مرحباً يا ابن عباس، ما جاءَ بك؟ قال: قلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله.

الصفة٢٢:(تشددهم وضيق صدورهم من خصومهم)

فقالت طائفة منهم: لا تُخاصموا قريشا فإن الله قال: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (الزخرف: ٥٨).

فقال اثنان أو ثلاثة: لنُكلمنه. فقلت لهم: تُرى ما نَقَمتُم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله منكم؟ قالوا: ثلاثاً. قلت: ماذا؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حَكَّم الرجال في أمر الله عز وجل، وقد قال الله عز وجل: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (الأنعام: ٥٧، ويوسف: ٤٠ و٦٧)، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل؟ فقلت: هذه واحدة، وماذا؟ قالوا: وأما الثانية: فإنه قاتل ولم يَسْب ولم يَغْنَم، (يعني: قاتل معاوية وأصحابه ولم يأخذ منهم الغنائم والسبايا الأسرى) فلئن كانوا (أصحاب معاوية) مؤمنين ما حَل لنا قتالهم وسباهم. قلت: وماذا الثالثة؟ قالوا: إنه مَحَا نفسه من أمير المؤمنين، إن لم يكن أميرَ المؤمنين، فإنه لأمير الكافرين.

قلت: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا، فَقُلْتُ لَهُم: أَرَأَيْتُمْ إنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ منْ كتَاب الله جل ثناؤه وَمنْ سُنَّة نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم ما لا تُنكرون ومَا يُرَدُّ به قَوْلُكُمْ أَتَرْضَوْنَ؟ قَالُوا: نَعَم، قلت لهم: أما قولكم: حَكَّم الرجال في أمر الله عز وجل، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله عز وجل ما ينقض قولكم، أفترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: فإن الله عز وجل قد صَيَّر من حكمه إلي الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا هذه الآية: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ) إلي آخر الآية. (المائدة: ٩٥)، وفي المرأة وزوجها: قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) إلى آخر الآية (النساء:٣٥)، فنشدتكم بالله، هل تعلمون حُكمَ الرجال في إصلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم، أفضلَ، أم حكمَهم في أرنب وبُضْع امرأة؟ فأيهما ترون أفضل؟ قالوا: بل هذه.

قال: خرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسْب ولم يغنم، فتَسْبُونَ أمكم عائشة؟ فوالله لئن قلتم: ليست بأمنا، لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم: نَسبيها نستحل منها ما نستحل من غيرها، لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين الضلالتين، إن الله عز وجل قال: (ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ) (الأحزاب: ٦)، فإن قلتم: ليست بأمنا، لقد خرجتم من الإسلام، أخرَجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولكم: محا نفسه من

أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون: يوم الحديبية، كاتَبَ النبي صلى الله عليه وسلم المشركين؛ أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال: "يا علي، اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله"، فقال المشركون: والله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهمَ إنك تعلمُ أني رسولُك، امْحُ يا علي، اكتب: هذا ما كاتب عليه محمد بن عبد الله"، قال ابن عباس: فوالله لرسولُ الله صلى الله عليه وسلم خير من علي، فقد محا نفسه. قال: فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا. انتهى.

وأخرجها عبد الرزاق (١٨٦٧٨)، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ١/٥٢٢.

إن الله تعالى بعث نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرًا ونذيرًا، ليخرج الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراطه المستقيم، ويدلهم على الخير ويحذرهم من الشر، وقد أخبر هو صلى الله عليه وسلم بما يوضح ذلك فقال فيما رواه عنه صاحبه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ". صحيح مسلم (ح١٨٤٤).

وقد حدث في حياته صلى الله عليه وسلم أمور ووقائع كان هديه فيها أحسن الهدي، وكان المسلمون بأمَسّ الحاجة لمعرفة صحيح السلوك وسقيمه إزاء هذه الحوادث. التي كان منها تلك الحادثة الخطيرة التي أخبر عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم حادثة الخوارج وأصلهم، وأوصافهم وخطرهم.

ولنستمع إلى هذا الإنذار من سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم:

"عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ: أَلاَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَامَ فِينَا فَقَالَ: " أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ". (سنن أبي داود (ح٤٥٩٧) وصححه الألباني).

قال الخطابي في "معالم السنن" ٤/٢٩٥: في الحديث دلالة على أن هذه الفِرَق كلها غير خارجة من الدِّين، إذ قد جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم كلهم من أمته. وفيه أن المتأوِّل لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأوُّله. مسند أحمد (١٤/ ١٢٥).

ويشبه هذا الحديث حديث عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا قَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ". مسند أحمد (ح١٧١٤٤) (صحيح).

متى بدأ هذا الافتراق؟

مما تقدم يُرى أن (رأس الخوارج) على قول بدر الدين العيني، ونواة وبذرة وأصل الاختلاف حتى على رسول الله ظهر في صورة هذا الرجل ذي الخويصرة التميمي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله يا محمد، اعدل فإنك لم تعدل. وقال أكثر من هذا، مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِي؟»، ويقول: «وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ»، ويقول: «وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ»؟!!

قال البربهاري: واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وهكذا كان الدين إلى خلافة عمر وهكذا كان في زمن عثمان،

فلما قتل عثمان جاء الاختلاف والبدع، وصار الناس أحزابًا وصاروا فرقًا، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به ودعا الناس إليه، فكان الأمر مستقيمًا حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة بني فلان انقلب الزمان وتغير الناس جدًا، وفشت البدع، وكثرت الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت المحن في شيء لم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه، ودعوا إلى الفرقة شرح السنة للبربهاري (ص: ٩١).

طريق تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة في العاقبة

وقال: اعلم أن الذي تحقق لهم هذه الصفة أمور منها قوله تعالى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» والمحبة من الله تعالى في متابعة الرسول سبب محبة الرب للعبد فكل من كان متابعته للرسول صلى الله عليه وسلم أبلغ وأتم كانت المحبة له من الله أكمل وأتم وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثر تبعا لسنته من هؤلاء ولهذا سموا أصحاب الحديث وسموا بأهل السنة والجماعة.

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الفرقة الناجية قال: ما أنا عليه وأصحابي وهذه الصفة تقررت لأهل السنة لأنهم ينقلون الأخبار والآثار عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم ولا يدخل في تلك الجملة من يطعن في الصحابة من الخوارج والروافض ولا من القدرية.

إن شهادة اثنين من أهل صفين غير مقبولة على باقة بقل ومن ردهم وطعن فيهم لا يكون متابعا لهم ولا ملابسا بسيرتهم ومنها ما جاء في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الفرقة الناجية فقال الجماعة وهذه صفة مختصة بنا لأن جميع الخاص والعام من أهل الفرق المختلفة يسمونهم أهل السنة والجماعة وكيف يتناول هذا الاسم الخوارج وهم لا يرون الجماعة والروافض وهم لا يرون الجماعة والمعتزلة وهم لا يرون صحة الإجماع وكيف تليق بهم هذه الصفة التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومنها أنهم يستعملون في الأدلة الشرعية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة والقياس ويجمعون بين جميعها في فروع الشريعة ويحتجون بجميعها وما من فريق من فرق مخالفيهم إلا وهم يردون شيئا من هذه الأدلة فبان أنهم أهل النجاة باستعمالهم جميع أصول الشريعة دون تعطيل شيء منها.

ومنها أن أهل السنة مجتمعون فيما بينهم لا يكفر بعضهم بعضا وليس بينهم خلاف يوجب التبريء والتفكير فهم إذا أهل الجماعة القائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله كما قال تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» قال المفسرون أراد به الحفظ عن التناقض وما من فريق من فرق المخالفين إلا وفيما بينهم تكفير وتبري يكفر بعضهم بعضا كما ذكرنا من الخوارج والروافض والقدرية حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضا وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضا حتى قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وقال الله سبحانه وتعالى «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا».

ومنها أن فتاوى الأمة تدور على أهل السنة والجماعة فريقي الرأي والحديث ومعظم الأئمة ينتحلون مذهبهم ويجتمعون على طريقهم وهو الغالب على بلاد المسلمين فهم إذا أهل الجماعة من سائر الوجوه وكلهم متفقون على رد مذهب الروافض والخوارج والقدرية من أهل الأهواء والبدع". التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص: ١٨٦).

أما عن الأوصاف الأخرى للخوارج، وغيرهم من الفرق الأخرى، ووجود هذه الفرق من دلائل النبوة فقد أخبر بذلك. وحديث افتراق الأمة. ونوع الاختلاف، والفرقة الناجية ووصفها، فهذا ما سيكون لنا معه وقفات في العدد القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.



قصة الأملاك التسعة وحرارة الشمس

الحلقة (١٨٧)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة وحتى لا يتجرأ من لا دراية له بالصناعة الحديثية من منكري السنة خاصة في هذه الأيام فيتخذ هذه القصة تشكيكًا في السنة بحجة وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد / علي حشيش

أولاً: المتن:

«وُكِّلَ بالشمس تسعة أملاك، يرمونها بالثلج كل يوم، ولولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقته».

ثانيًا: التخريج:

نذكر في هذا التخريج المصادر الأصلية التي أخرجت هذه القصة بأسانيدها من مصنفيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تستبين:

أ- علة هذه القصة.

ب- الاعتبار وذلك بتتبع الطرق لمعرفة التفرد أو المشاركة حتى نقف على حقيقة العلة كما سنبين من تعقب بعض الأئمة على بعض.

جـ- بيان التصحيف الذي وقع عند أحد المحدثين رحمه الله عند تحقيقه لهذا الخبر الذي جاءت به القصة.

١- أخرجه الحافظ الطبراني في «الكبير» (١٩٧/٨) (ح٧٧٠٥) فقال: حدثنا أبو زيد الحوطي، حدثنا أبو اليمان- وحدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي، حدثنا علي بن عياش قالا: حدثنا عفير بن معدان، عن سليم بن عامر عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وُكِّل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم، لولا ذلك ما أتت على شيء إلاَّ أحرقته».

٢- وأخرجه الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في «الموضح» (٣٨٨/٣٥٢/٢) قال: أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق، حدثنا أيوب بن سليمان الصفدي، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع وعبد الحميد بن إبراهيم قالا: حدثنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر الخبائري عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، بنحوه.

قلت: أخرجه الخطيب البغدادي تحت ذكر الراوي رقم (٣٨٨) قال: «ذكر عفير بن معدان الشامي»، ثم أخرج هذا الحديث الذي أوردناه آنفًا ثم قال بعقبه: «وهو أبو عائذ المؤذن الذي روى عنه بقية بن الوليد- أخبرنا القاضي أبو بكر الخيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج، حدثنا بقية، حدثنا أبو عائذ المؤذن قال: حدثني سليم بن عامر، عن أبي أمامة قال: بنحوه.

فائدة:

للقارئ الكريم ولطالب علوم الحديث خاصة في معرفة مناهج المحدثين؛ فبعزو هذا الحديث إلى «الموضح» للخطيب البغدادي، نتبين أن هذا المصنَّف اسمه بالتفصيل: «موضح أوهام الجمع والتفريق».

وهو كتاب جليل المنفعة عظيم القدر اعتمد عليه

المصنفون فيما بعد ومنهم الحافظ ابن حجر فنراه يذكر في كتاب «التهذيب» جملاً مقتطفة من كتاب «الموضح» حيث نقل في «التهذيب» (٢٧٩/٩) في ترجمة محمد بن عبد العزيز أبو روح الراسبي البصري الجرمي فقال: «وذكر الخطيب في «الموضح»: أن البخاري فرَّق بين الجرمي والراسبي ثم ذكر محمد بن عبد العزيز الكوفي.. قال الخطيب: الثلاثة واحد يقال له الراسبي والجرمي والتيمي ويكنى أبا سعيد وأبا روح والله تعالى أعلم». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين من هذا الاختصار الشديد موضوع مصنف «موضح أوهام الجمع والتفريق»، فالجمع عدُ الاثنين فأكثر واحدًا، والتفريق عدّ الواحد اثنين فأكثر.

وبتطبيق هذا على تخريج هذا الخبر الذي جاءت به القصة بيّن الحافظ الخطيب البغدادي أن عفير بن معدان الشامي في الطريق الأول هو نفسه أبو عائذ المؤذن في الطريق الثاني، وقد يتوهم من لا علم له بهذا الفن الدقيق أنهما اثنان فوضّحه الحافظ الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق»، وهذا الأمر مهم جدًا في الصناعة الحديثية كما سنبين من التحقيق حيث إن العلة مركزة حول هذا الراوي.

٣- وأخرجه الحافظ أبو القاسم المهرواني في «الفوائد المنتخبة» (ح١٢) قال: أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن محمد بن نصر الستواري حدثنا عثمان بن أحمد، حدثنا أيوب بن سليمان الصفدي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع وعبد الحميد بن إبراهيم قالا: حدثنا عفير بن معدان به كما في الطريق الأول للخطيب في الموضح سندًا ومتنًا.

٤- وأخرجه الإمام الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (ح٦٣٩) قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد، حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، حدثنا عفير بن معدان اليحصبي، عن سليم بن عامر الخبائري عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكل بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج ولولا ذلك ما أصابت شيئًا إلا أحرقته». اهـ.

٥- وأخرجه أبو عمرو السمرقندي في «الفوائد المنتقاة» (١٦١/١) (ح٥٢) قال: حدثنا أبو أمية حدثنا ابو اليمان، وعلي بن عياش أنبأنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة الباهلي مرفوعًا.

٦- وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣١٧/٦) (١٧٩٩/١٧٨) قال: حدثنا عمر بن سنان، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا سلمة، حدثنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة بنحوه. ثم قال: «وهذا لا أعلم يرويه غير مسلمة بهذا الإسناد». اهـ.

قلت: ومسلمة: هو مسلمة بن علي أبو سعيد الخشني الشامي.

٧- وأخرجه ابن الجوزي في «الواهيات» (٤٦/١) (ح٢٩) من طريق ابن عدي فقال: «أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: حدثنا ابن مسعدة، قال: أخبرنا حمزة بن يوسف، قال: أخبرنا ابن عدي، قال: أخبرنا عمر بن سنان به، ثم قال: لا يرويه غير مسلمة، قال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك». اهـ.

ثالثًا: بيان تصحيف:

قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١٩٣/٢) النوع (٢٥): «معرفة المصحف: هو فن جليل مهم، وإنما يحققه الحذاق من الحفاظ، والدارقطني منهم».

فقد أورد محدث الديار الشامية الألباني رحمه الله هذا الخبر الذي جاءت به القصة في «الضعيفة» (٤٦١/١) (ح٢٩٣) وعزاه إلى ابن عدي، وابن الجوزي، والطبراني في «الكبير»، وأبو عمرو السمرقندي في «الفوائد المنتقاة»، والخطيب في «الموضح»، كلهم عن عفير بن معدان عن سليمان بن عامر الخبائري عن أبي أمامة مرفوعًا. اهـ.

قلت: بالنظر إلى هذا الإسناد نجد أن عفير بن معدان روى هذا الحديث عن سليمان بن عامر الخبائري، وهذا لا يصح باستقراء جميع طرق الحديث حيث جاء فيها الحديث عن عفير بن معدان عن سليم بن عامر الخبائري، فحديث عفير بن معدان عن «سليم بن عامر الخبائري» صُحِّف فقال: «عن سليمان بن عامر الخبائري».

قلت: ولقد تتبعت الطبعات التي ذكر فيها الشيخ الألباني رحمه الله هذا الخبر من طبعة المكتب الإسلامي لسنة ١٣٩٨هـ حتى طبعة دار المعارف

بالرياض لسنة ١٤٢٠هـ كلها جاءت بهذا التصحيف «سليمان بن عامر الخبائري».

١- قلت: هذا ما بينه استقراء جميع طرق الخبر، وكذا باستقراء من روى عن الصحابي الجليل صُدي بن عجلان أبو إمامة الباهلي في «تهذيب الكمال» (٢٨٥٥/٩٣/٩) للإمام المزي نجد «سُليم بن عامر الخبائري» روى عن أبي أمامة ولم يوجد ما يسمى «سليمان بن عامر الخبائري».

٢- قلت: كذلك بالبحث في ترجمة سليم بن عامر الكلاعي الخبائري في «تهذيب الكمال» (٢٤٦٩/٤٧٦/٧) نجده روى عن أبي أمامة ونجده أيضًا روى عنه «عفير بن معدان».

رابعًا: التحقيق:

١- قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في «تخريج الفوائد المنتخبة للمهرواني» (ح١٢): «هذا حديث غريب من حديث سليم بن عامر عن أبي أمامة واسمه صُدي بن عجلان لا أعلم رواه غير عفير بن معدان الحضرمي، ويكنى أبا عائذ، وإسناد هذا الحديث مما روى أيوب بن سليمان الصفدي كلهم حمصيون». اهـ.

٢- من هذا يتبين أن هذا الخبر الذي جاءت به قصة «الأملاك وحرارة الشمس خبر غريب انفرد به عفير بن معدان الحضرمي، وهو علة هذا الخبر».

٣- لذلك أورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣١/٨) وقال: «رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف جدًا». اهـ.

٤- ولقد أكد هذا التفرد والغرابة الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤٧٢/٤٣٠/٣) قال: «عُفير بن معدان عن سليم بن عامر ولا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به».

ثم قال: حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا عباس، قال: سمعت يحيى قال: «عفير بن معدان ليس بثقة».

ثم قال: حدثني أحمد بن محمود، حدثنا عثمان بن سعيد، قال: قلت ليحيى: عفير بن معدان قال: ليس بشيء. اهـ.

٥- قلت: وبالرجوع إلى «تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي» (٥٣٦) قال: «قلت ليحيى بن معين: فعفير بن معدان؟ فقال: ليس بشيء؟».

٦- وقال ابن عدي في «الكامل» (٣٧٩/٥) (١٥٤٤/٥٧٦): «عفير بن معدان يكنى أبا عائذ» ثم أخرج بسندين عن يحيى بن معين قال: عفير بن معدان حمصي وليس بثقة، وفي سند ثالث قال: «ليس بشيء». اهـ.

ثم أخرج بسنده عن أحمد بن حنبل: قال: «عفير بن معدان منكر الحديث ضعيف».

ثم أخرج بسنده عن أبي مسهر عن محمد بن شعيب قال: «أبرأ إليكم من حديث عفير وسعيد بن سنان».

قلت: وهذه البراءة التي جمعت بين عفير وسعيد بن سنان لتدل على دقة أئمة الجرح والتعديل؛ فالاستقراء التام يدل على تمام التطابق بينهما، فسعيد بن سنان قال فيه يحيى بن معين: ليس بثقة، ومرة أخرى ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال الجوزجاني: أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة. نقله الذهبي في «الميزان» (٣٢٠٨/١٤٣/٢).

ثم أخرج الحافظ ابن عدي لعفير بن معدان أربعة عشر حديثًا منكرًا ثم ختم ترجمته فقال: ولعفير بن معدان غير ما ذكرت من الحديث وعامة رواياته غير محفوظة. اهـ.

٧- ونقل الحافظ الذهبي ما أخرجه ابن عدي من منكرات عفير، وأقوال أئمة الجرح والتعديل وأقرها في «الميزان» (٥٦٧٩/٨٣/٣).

٨- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٩٥/٣٦/٧): «سألت أبي عن عفير بن معدان فقال: هو ضعيف الحديث يكثر الرواية عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالمناكير وما لا أصل له لا يشتغل بروايته». اهـ.

قلت: وهذه الإجابة من الإمام الكبير أبي حاتم لابنه عبد الرحمن من دقيق فقه علل الحديث ونقلها الحافظ في «الميزان» (٨٣/٣) وأقرها.

٩- وقال الحافظ الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٩٨/٢): «عفير بن معدان ممن يروي المناكير عن أقوام مشاهير فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج بأخباره». اهـ. وأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: «عفير بن معدان ليس بشيء». اهـ.

خامسًا: التعقيب على دعوى تفرد مسلمة الخشني:

قال المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»

(٣٦٣/٦) (ح٩٦٢٩) بعد أن نقل عزو السيوطي الخبر الذي جاءت به القصة: (طب عن أبي إمامة) أي الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة قال: «قال الهيثمي: فيه عفير بن معدان ضعيف جدًا». اهـ.

ثم قال المناوي: «وتعصيب الجناية برأس عفير وحده يوهم أنه ليس فيه من يُحمل عليه سواه والأمر بخلافه، ففيه مسلمة بن علي الخُشني، قال في «الميزان»: واه، تركوه واستنكروا حديثه، ثم ساق له أخبارًا، هذا منها، وقال ابن الجوزي: لا يرويه غير مسلمة، وقد قال يحيى: ليس بشيء، والنسائي متروك». اهـ.

وقد أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في «الموضح» عن أبي اليمان وعبد الحميد بن إبراهيم قالا: حدثنا عفير فأين دعوى تفرد مسلمة الخشني عن عفير؟

قلت: وانظر إلى دقة فقه الحافظ ابن عدي في قوله: «لا أعلم يرويه غير مسلمة بهذا الإسناد»، فقيده بعلمه هو، أما ابن الجوزي أطلق وجزم بالتفرد فقال: «لا يرويه غير مسلمة» واغتر بذلك المناوي ورد تعصيب الجناية برأس عفير وحده ولم يتتبع طرق الحديث كما بينا آنفًا.

سادسًا: نقد الشيخ الألباني للمتن:

قال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٤٦١/١) (ح٢٩٣):

«وهذا الحديث مع ضعفه الشديد إسنادًا، فإني لا أشك أنه موضوع متنًا؛ إذ ليس عليه لوائح كلام النبوة والرسالة، بل هو أشبه بالإسرائيليات، ويؤيد وضعه مخالفته لما ثبت في علم الفلك أن السبب في عدم حرق الشمس لما على وجه الأرض، إنما هو بُعدها عن الأرض بمسافات كبيرة جدًا؛ يقدرونها بمائة وخمسين مليون كيلو متر تقريبًا، كما في كتاب «علم الفلك» للأستاذ طالب الصابوني الذي يدرس في الصف الحادي عشر في سوريا». اهـ.

سابعًا: دعوى الوقف على الصحابي أبي أمامة:

قال الشيخ الألباني في ختام كلامه على هذا الخبر: «ثم رأيت الحديث رواه أبو العباس الأصم في «حديثه» (١/١١٤٥/٣) (رقم ٧٧- من نسختي) موقوفًا على أبي أمامة، فقال: حدثنا أبو عتبة، حدثنا بقية، حدثنا أبو عائذ المؤذن، حدثني سليم بن عامر عن أبي أمامة قال: فذكر موقوفًا عليه وإسناده ضعيف والوقف هو الأشبه، والله أعلم. اهـ.

قلت: قول الشيخ الألباني رحمه الله عن هذا الحديث الموقوف: «إسناده ضعيف» والذي جاء من حديث أبي عائذ المؤذن عن سليم بن عامر.

وقوله رحمه الله عن هذا الحديث المرفوع أنه موضوع متنًا مع ضعفه الشديد إسنادًا، وجعل علته عفير بن معدان وعصب الجناية برأسه وحده.

قلت: وكأني الآن أمام الحافظ الجهبذ الخطيب البغدادي وهو يرد على هذا الوهم، حيث إن السند في المرفوع والموقوف واحد، فقد أخرج هذا الخبر الحافظ الخطيب البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٣٨٨/٣٥٢/٢) مرفوعًا من حديث عفير بن معدان عن سليم وأخرجه موقوفًا قال: أخبرنا القاضي أبو بكر الخيري حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج حدثنا بقية، حدثنا أبو عائذ المؤذن قال: حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة موقوفًا.

فبعد أن رواه مرفوعًا من حديث عفير بن معدان قال: وهو أبو عائذ المؤذن، ثم رواه بهذا الاسم موقوفًا حتى لا يتوهم ويعد الواحد اثنين وكأني أمام الخطيب في كتابه «موضح أوهام الجمع والتفريق»، وهو يحقق قول أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير»، كما أوردناه آنفًا فيما نقله الحافظ ابن حجر في «التهذيب»، وكأني في هذا التحقيق أمام الخطيب البغدادي وهو يخرج الخبر مرفوعًا وموقوفًا ويبين أن السند واحد، وأن العلة واحدة عفير بن معدان وهو نفسه أبو عائذ المؤذن، وهو ليس بشيء وليس بثقة منكر الحديث رواياته غير محفوظة، كثرت المناكير في روايته، وبطل الاحتجاج بأخباره، يكثر الرواية عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم بما لا أصل له لا يشتغل بروايته، تبرأ من حديثه الأئمة والصحابي الجليل صُدي بن عجلان أبو أمامة الباهلي بريء من هذه الواهيات والمنكرات مرفوعة وموقوفة.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

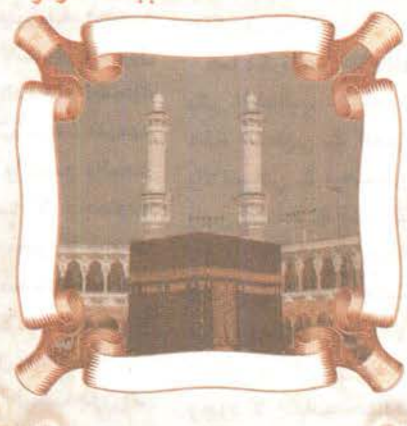
الحلقة (٢١)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

دحض شبهات الأشاعرة القاضية بتقديم العقل وتأويل النقل عند التعارض على ما زعموا

إعداد/ أ. د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن غير شبهتي (الاشتباه في التسمية) و(ادعاء التجسيم على المثبتين) اللتين أفضنا في دحضهما لرد دعاوى الإيهام، وفي إطار تبريرهم لصرف نصوص الصفات الخبرية والفعلية إلى المجاز على ما هو الشائع في عرف الأشاعرة، صرح جمع غفير من متأخريهم بإحالة العقل حمل غير (صفات المعاني) على الحقيقة، وتلك شبهة أخرى عظيمة دفعت أهل السنة على مدار القرون الماضية لأن يقرروا أن مصدر التلقي لدى الأشاعرة هو العقل وليس النقل وأن ذلك يناقض مذهبهم في التحسين والتقبيح الشرعي، وكان غاية ما جنح إليه أولئك الأشاعرة أن نصوص هذه الصفات أو (الظواهر الموهمة) كما يسمونها، مجرد "ظنيات سمعية، في معارضة كليات عقلية".

وتلك هي عبارة السعد التفتازاني ت ٧٩٢ في كتابه مقاصد الطالبين ٣/ ٣٦، وقد وقع في هذه الجريرة النكراء، كلٌ من الفخر الرازي ت ٦٠٦ - قبل تراجعه بالطبع - والآمدي ت ٦٣١ والإيجي ت ٧٥٦ والسنوسي ت ٨٩٥، وغيرهم ممن حجل بقيدهم وانخرط في عداد المتكلمة من يوم أن ظهرت الفرق وإلى يوم الناس هذا.. وكان مما قالوه واتكئوا عليه في هذا الصدد: إنه (إذا تعارض العقل والنقل، قُدِّم العقل وأُوِّل النقل)، وكان غاية ما استدلوا به على ذلك: "أنا لو قدمنا النقل - في حال التعارض - على العقل، لبطل العقل وهو أصل النقل، وللزم بالتالي بطلان العقل والنقل، فتعين تقديم العقل" كذا في أساس التقديس للرازي ص ١٩٣، ١٩٤.. هذا مجمل ما دانوا الله به في معتقد توحيد الله في صفاته الخبرية والفعلية.

دحض مزاعم الأشاعرة في تأويلاتهم الصفات الخبرية والفعلية تحت دعاوى الإيهام ومنافاة العقل:

وجوابه: أن قولهم بأن نصوص الصفات الخبرية والفعلية "ظنيات سمعية" لا تفيد اليقين، يَردُ عليه: هذه القرائن الوضعية والعقلية والشرعية المتواترة والمتضافرة والقطعية الدلالة والثبوت، والتي لا زلنا ننصبُها ونفيض فيها ونستدل بها على عدم إحالتها بحقه تعالى.. كما يَرد عليه: أن القول بمجازية هذه الصفات قاض بنفيها وعدم إثباتها على الحقيقة، ومؤدٍ لا محالة إلى نفي سائر ما أثبتوه من صفات الذات وإلى تعطيلها وعدم القطع بثبوتها هي الأخرى، ذلك "أنا وإياهم، متفقون على إثبات صفات (الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام) لله تعالى، ونحن قطعاً لا نعقل من (الحياة) إلا هذا العَرَض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من (السمع والبصر) إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون: (حياته ليست بعَرَض، وعلمه وبصره كذلك، لكونها صفات كما تليق به لا كما تليق بنا).. فكذلك نقول نحن: (مثل ذلك بعينه: فوقيته واستواؤه.. وكذلك نزوله ثابت معلوم غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالمخلوق، بل هو كما يليق بعظمته وجلاله.. وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد)..

وبهذا يحصل الجمع بموجب العقل بين الإثبات لما وصف الله به نفسه، وبين نفي التحريف والتشبيه والتجسيم، وذلك هو مراد الله منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها ونؤمن بحقائقها وننفي عنها الحدوث، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين (الاستواء والسمع)، ولا بين (النزول والبصر)، لأن الكل ورد في النص، فإن قالوا لنا في (الاستواء): شبَّهتم، نقول لهم في (السمع): شبهتم، ووصفتم ربكم بالعَرَض!..

> "وأجمعوا على أن صفته عز وجل لا تشبه صفات المحدثين كما أن نفسه لا تشبه أنفس المخلوقين.. وعلى وصف الله بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان بذلك واجب وترك التكييف له لازم."

وإن قالوا: لا عَرَض بل كما يليق به، قلنا: في (الاستواء والفوقية) لا حصر، بل كما يليق به، فجميع ما يُلزموننا في (الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب) من التشبيه.. نُلزمهم به في (الحياة والسمع والبصر والعلم)، فكما لا يجعلونها أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا مما يوصف به المخلوق، وليس من الإنصاف أن يفهموا في (الاستواء والنزول والوجه واليد) صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع أيضاً صفات المخلوقين من الأعراض!!..

فما يُلزموننا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء" انتهى باختصار من كلام الإمام الجويني ت ٤٣٨ في رسالته (النصيحة) ص ٤٠: ٤٣ وهو بمختصر العلو للألباني ص ٢٩: ٣١ ومجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٨١ وما بعدها..

وقد سبق أن ذكرنا من كلام الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر ص ٢١٦، ٢٣٦، قوله: "وأجمعوا على أن صفته عز وجل لا تشبه صفات المُحدَثين كما أن نفسه لا تشبه أنفس المخلوقين.. وعلى وصف الله بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان بذلك واجب وترك التكييف له لازم"..

كما ذكرنا من كلام الحافظ أبي بكر الخطيب، قوله فيما نقله عنه الذهبي في العلو ص ١٨٥ والألباني في مختصره ص ٢٧٢ وابن قدامة في (ذم التأويل) ص ١٧: إن "الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ونحتذي في ذلك حذوه ومثاله، وإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو

إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: (يد وسمع وبصر)، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى (اليد): (القدرة).. ولا نقول: إنها جوارح وأدوات للفعل، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها"، فأنى لها بعدُ أن تكون موهمة أو غير يقينية أو يأباها العقل ولا يدل عليها، إلا في ذهن مدَّعي ذلك؟.

من أدلة القرآن على تآخي وعدم تعارض العقل الصريح للنقل الصحيح.. وإنزال ذلك على مسألة الصفات:

والحق أن القول بتنافي الشرع مع العقل سواء في مسألة الصفات أو غيرها، باطل، فبطل ما أدى إليه.. ذلك أن السمع الصحيح لا ينفك عن العقل الصريح، بل هما أخوان وَصَل الله بينهما في نحو قوله: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) الأحقاف/ ٢٦)، حيث ذكر في علة ما حلّ بهم مع الجحود والتكذيب للوحي: عدم استعمال ما يُتناول به العلوم وهي السمع والبصر والفؤاد الذي هو محل العقل.. وقوله: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) الملك/ ١٠)، حيث أخبروا أنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل.. وقوله:

"والحق أن القول بتنافي الشرع مع العقل سواء في مسألة الصفات أو غيرها، باطل، فبطل ما أدى إليه."

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) الروم/ ٢٣)، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) النحل/ ١٢)، (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) محمد/ ٢٤)، حيث دعاهم سبحانه إلى استماع آياته بأسماعهم وتدبرها بعقولهم.. وقوله: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ق/ ٣٧)، حيث جمع بين العقل والسمع وأقام بهما حجته على عباده، فلا ينفك أحدهما عن صاحبه..

بل إن مما يدل على مكانة وأهمية وقَدْر العقل في القرآن قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) الأحقاف/ ٤)، فطالبهم بالدليل السمعي والعقلي.. ولله در التنزيل!، لا يتأمل العالم آية في ذلك من آياته، إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، وتأكد له أن الكتاب المنزل والعقل المدرك متآخيان على عكس ما ادُّعيَ، وأنهما معاً حجة الله في خلقه، وأن قرآنه الذي قرر ذلك هو الحجة العظمى.

وما ذُكر هنا ينسحب على ما ادُّعي من تعارض العقل والنقل في باب الصفات الخبرية والفعلية، إذ يُردُّ على تلك الدعوى بما يلي:

١- أن العقل جازم بإثبات صفات الكمال له وامتناع أن يصف سبحانه نفسه أو يصفه رسوله بصفة تُوهم نقصاً، ولا يختلف عاقلان في أن كل صفة دل عليها الكتاب والسنة - ومن ذلك بالطبع صفات الخبر والفعل - هي صفة كمال.

٢- أنه من هذا المنطلق نخاطب بالعقل من ارتضوا بالتحاكم إليه من الأشاعرة، ونقول لهم: إذا كان الدليل العقلي قد دل لديكم على ثبوت (الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر) وأنها صفات كمال، فقد دل نظيره على سائر صفات الفعل والخبر، وإذا كان الدليل العقلي قد دل فيما تدينون الله به على أنه سبحانه فاعل بمشيئته واختياره، فقد دل كذلك على قيام أفعاله به وعلى أن ذلك هو عين الكمال..

يوضح هذا: أن أدلةَ مباينة الله لخلقه وعلوه علي جميع مخلوقاته - مثلاً - أدلةٌ عقلية فطرية توجب العلم الضروري بمدلولها، وأدلة السمع على ذلك تقارب الألف دليل، فكيف بكم تثبتون ما هنالك من (صفات المعاني) وتتأولون ما هاهنا؟!،

وأنى يتأتى لكم أن تؤمنوا ببعض الكتاب دون البعض؟!.

٣- إن نفي الشبيه والمثيل والنظير - التي تتذرعون بها لنفي الصفات الخبرية والفعلية - لا يكون كمالاً ولا مدحاً إلا إذا تضمن كون من نُفي عنه ذلك قد اختُصَّ من صفات الكمال بصفات باين بها غيره، وخرج بها عن أن يكون له فيها شبيه أو مثيل أو نظير، فهو لتفرده بها عن غيره صح أن يُنفى عنه الشبه والمثل، إذ لا يقال لمن لا سمع له ولا بصر ولا حياة ولا علم ولا كلام ولا فعل: ليس له شبه ولا مثل إلا من باب الذم والعيب، وهذا هو الذي عليه نظر الناس وعقولهم واستعمالاتهم، فعكس المعطلة هذا المعنى فجعلوا (ليس كمثله شيء) جنة يتترسون بها لنفي علوه تعالى على عرشه واثبات صفات الكمال له.

٤- إن العقل السليم لا يمكن بحال أن يصطدم أو يتعارض مع ما جاء به النقل الصحيح، بل إن العقل يشهد له ويؤيده لسبب بسيط ومنطقي يتمثل في: أن الذي خلق العقل وهو الله، هو الذي أرسل إليه النقل وجعله صالحا له في كل وقت وحين.. ولأن الإنسان صنعة خالقه كان هو سبحانه أعلم بصنعته وبما يصلحه في كل زمان ومكان، فإذا وَضع رب العباد نظاماً فببالغ حكمته وعلمه ولصلاح صنعته (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الملك/ ١٤)، وإذا ألزم عباده بمنهجه وشرعته، كان من المحال أن يضلوا أو يشقوا أو يعيشوا تحت مظلته معيشة ضنكاً.. ومعلوم بالضرورة أن أولى من يضع نظام التشغيل للمصنوعات -ولله المثل الأعلى- هو صانعها..

> الكتاب المنزل والعقل المدرك متآخيان على عكس ما ادُّعي، وأنهما معاً حجة الله في خلقه، وأن قرآنه الذي قرر ذلك هو الحجة العظمى.

ومن هنا ساغ لابن القيم لأن يقرر ذلك في الصواعق ولشيخه لأن يضع قاعدته التي فيها يقول في مجموع الفتاوى ١٢/ ٨١، ٦/ ٥٢٥: "كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيراً من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به، كان عارفاً بالأدلة الشرعية، وليس من المعقول ما يخالف المنقول"، وإن "من قال بموجب نصوص القرآن والسنة، أمكنه أن يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح"..

وهذا عينه ما سلكه الأشعري عندما ترك سبيل المعتزلة والمتكلمة، ونهج نهج سلف الأمة وعلى رأسهم أحمد بن حنبل، وكان منه ما كان من تأليفه كتب: (الإبانة) و(مقالات الإسلاميين) و(رسالة إلى أهل الثغر)، تلك الكتب التي دحض من خلالها بالحجة والبرهان وأدلة العقل قبل النقل، كل طريق يخالف طريق النبي وصحابته وتابعيهم بإحسان.

٥- إن القول بتعارض العقل مع النقل: مفض بالمعتقدين به إلى أنهم لا يستفيدون من جهة الرسول شيئاً من الأخبار المتعلقة بصفات الرب وأفعاله، إذ عندهم أن تلك الأخبار أنواع: منها: ما يُقَرُّ به، ومنها: ما يجب تأويله وإخراجه عن حقيقته دون ما أصل في ذلك يرجعون إليه ولا دليل يستدلون به عليه، ومفض كذلك إلى أن وجود الرسول عندهم كعدمه في المطالب الإلهية ومعرفة الربوبية، بل إلى أن وجوده أضر من عدمه، لأنه فضلاً عن أنهم لا يستفيدون من جهته علماً بهذا الشأن، احتاجوا إلى دفع ما جاء به إما بتكذيب، وإما بتأويل، وإما بإعراض وتفويض، فإن قالوا: إنه منزه عن ذلك وممتنع عليه، قيل: فهذا إقرار باستحالة معارضة العقل للسمع، وبذا يكون إثبات التعارض قد استحال من الأساس، وعُلم أن جميع أخباره لا تناقض العقل، وأضحى الأمر كما قال الشاعر:

فَعَد النقل سالماً من مُناف
واسترحنا من الصداع جميعا

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صبر الداعية على الأذى

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالعلمُ أفضل مكتسب، وأشرف منتسب، وأنفس ذخيرة تُقتنى، وأطيب ثمرة تُجتنى، نور زاهر، وقوت هنيّ، تنشرحُ به النفوس، وتُسرّ به الأفئدة.

إعداد/ عبده الأقرع

ولقد عُني الإسلام بالعلم أبلغ عناية وأتمها دعوةً إليه، وترغيبًا فيه، وتعظيمًا لقدره، وتنويهًا بأهله، وامتن الله على الأنبياء الكرام بما آتاهم من العلم وذكرَ الله هذا الفضل العميم في كتابه فقال عن يوسف الصديق عليه السلام: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» (يوسف:٢٢).

وقال عن كليمه موسى عليه السلام: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» (القصص: ١٤).

وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» (النساء:١١٣).

والدعوة إلى الله سبحانه من أبرز سمات هذه الأمة- أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي فاقت بها سائر الأمم، يقولُ الله جل وعلا: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ» (آل عمران:١١٠)، والمهمة الكبرى للأنبياء والمرسلين والصالحين، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى» (يوسف:١٠٨).

وقد كرر الله تعالى في القرآن الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم بأمره بالدعوة إليه سبحانه والاستمرار عليها وعدم التخلي عنها، فقال سبحانه: «وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ» (الحج:٦٧)، وقال سبحانه: «إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ» (الرعد:٣٦)، وقد قضت سنة الله أن ذوي العصيان أكثر عددًا ممن يطيع الرحمن، قال الله تعالى: «وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ» (المائدة:٤٩)، وقال تعالى: «وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ» (الأنعام:١١٦).

إذن لا بد للداعية إلى الله من زاد وافر من الصبر، صابرًا على ما يدعو إليه، صابرًا على ما يعترض دعوته، صابرًا على ما يعترضه من الأذى، فهذا هو الداعية الأول للأمة خاتم الرسل وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم بدأ الوحي يتنزل عليه بالعقائد والشرائع، فبدأت بواعث الحسد والسوء تتحرك تجاهه في شدة لا تهدأ، وأخذ المستكبرون يرون في أنفسهم أحقيتها بما يدعيه محمد صلى الله عليه وسلم لو كان صحيحًا، فقالوا: «لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» (الزخرف:٣١).

ورأوا فيما يتلو عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا غير مألوف لهم، فلا طاقة لهم بمثله، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغير لهم ما يريدون تغييره مما يسمعون من القرآن، بأن يجعل لهم الحلال حرامًا والحرام حلالاً، والوعد وعيدًا، والوعيد وعدًا، وذلك قوله سبحانه: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ» (يونس:١٥).

ويعلل هذا فيقول: «إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (يونس:١٥)، ثم يتبع الله تعالى ذكره تعريف نبيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا له: «ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ» (يونس:١٥)، فيقول له: قل لهم: «قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (يونس:١٦).

يقول الإمام القرطبي في ذلك: "أي لو كنت منتحلاً ما ليس لي من القول لكنت انتحلته في أيام شبابي وحداثتي، وقبل الوقت الذي تلوته عليكم، فقد كان لي اليوم- لو لم يُوح إليَّ ولم أومر بتلاوته عليكم- مندوحة عن معاداتكم، ومتسع في الحال التي كنت بها منكم قبل أن يوحى إليَّ بتلاوته عليكم". (تفسير الطبري، الجزء الخامس عشر).

ولم يَدَعُوا سبيلاً يرون أن لهم فيه نهاية إلى غاية يرونها دانية أو بعيدة في محاولة إبطال الوحي أو صرف النبي صلى الله عليه وسلم إلا سلكوها، متناسين مكانته فيهم التي أقروا له جميعًا بها فسموه «الأمين»، فإن لم يفلحوا في صرف النبي صلى الله عليه وسلم عن الوحي فلا أقل من أن يُدخلوا الريبة منه في قلوب من حوله ممن آمن به وممن لم يؤمن به، ولو إلى حين، لا يحملهم على ذلك إلا وغر صدورهم بالحسد، وإلا ما أنشب فيها من إلف الباطل، وحجتهم: «إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ» (الزخرف: ٢٢).

سلكوا أولاً سبيل الاستكبار والإعراض، وجاهروا به حتى يراهم الأتباع فيصنعوا مثل ما صنعوا، ويجحدوا كما جحدوا، يرجون أن يقع اليأس في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ويسكت عن ضلالهم فلا يدعوهم إلى الله، قال الله عنهم: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ» (فصلت:٢٦).

وقال الله تعالى: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ» (سبأ:٣١).

وقال تعالى: «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا» (الإسراء:٤٦).

فلما رأوا أنهم لم يصيبوا نجحًا سلكوا ثانيًا سبيل الهزء والسخرية، قال الله تعالى: «وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا» (الأنبياء:٣٦).

وقال الله تعالى: «وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ» (الحجر:١١)، وعاقبة المستهزئين بالرسول إلى تَباب وخُسران، وهي سُنَّة مضت في الأمم السابقة كلها التي هزئت وسخرت بأنبيائها، قال الله تعالى: «وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ» (الأنبياء:٤١).

وقد عصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المستهزئين وكفاهم مكرهم، فليس لهم إليه من سبيل.

قال الله تعالى: «إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ» (الحجر:٩٥).

ولكيلا يكون للمستهزئين سبيلٌ على أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نهاهم عن الجلوس مع المستهزئين والاستماع والإصغاء إليهم، فقال تعالى: «إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ» (النساء:١٤٠)، وإن أصروا على استهزائهم بالحق الذي جاءهم به نبيهم، فإن العذاب الأليم في انتظارهم، قال الله تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ» (الأنعام:٥).

فلما لم يفلحوا في توهين وصرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن دعوته عن طريق الإعراض والصد والاستهزاء، لجئوا إلى أسلوب ثالث، وهو الاتهام بالسحر والكهانة والجنون والشعر والكذب، وقد كانوا من يرون فيه الكمال الإنساني كله في حكمته وصدقه وأمانته، فلما أن جاءهم بشيرًا ونذيرًا بأمر من ربه نابذوه الخصومة، وبارزوه العداوة، وألقوا الاتهام عليه، الذي لا ينبئ إلا عن حسد يأكل صدورهم، وخوف على مكانتهم التي توارثوها كابرًا عن كابر أن تسقط، فاتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالسحر، قال الله تعالى: «وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا» (الفرقان:٨).

وقال الله تعالى: «نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا

مَسْحُورًا » (الإسراء:٤٧).

ثم استطالوا بتهمة الجنون، وهي أشد وأعظم من التهمة بالسحر.

وقد سجل القرآن الكريم هذه التهمة في كل حالاتها التي صورت حقيقة نفوسهم وهم يقذفون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتارة يصرخون بهذه التهمة صرخًا لا يملكون معه إخفاء ما تجيش به نفوسهم من حقد باطن: قال الله تعالى عنهم: « وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ » (الحجر:٦).

وتارة يتداولون هذه التهمة فيما بينهم عالمين أنهم يخادعون أنفسهم، قال الله تعالى: « وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ » (الصافات:٣٦).

وتارة يقولونها وهم أشبه ما يكون في حالة يأس وقنوط من قناعتهم هم أنفسهم بهذه التهمة.

قال الله تعالى: « ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ » (الدخان:١٤).

وتارة يحكونها وقد اعترتهم البغضاء والحسد في أشد حالاتهما ظانين أنهم يقنعون أنفسهم بها، قال الله تعالى: « وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ » (القلم:٥١).

ويحكي تعالى استخفافهم واستغرابهم بإلفهم عقيدتهم المتوارثة الباطلة مما جاءهم به من عقائد غريبة عنهم.

قال الله تعالى: « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ » (سبأ: ٧-٨).

ويثبت القرآن من قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يأمره أن يذكر الناس بما أرسل به من عند ربه غير ناظر إلى ما يقولون داحضًا بقوة تلك الفرية، قال الله تعالى: « فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ » (الطور:٢٩).

ولكنهم كانوا يصفونه بالحكمة والعقل، قال الله تعالى: « أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ » (الأعراف:١٨٤).

ويذكر القرآن النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذه التهمة قد أُلقيت على الأنبياء قبله، فلا ييأس ولا يحزن، قال الله تعالى: « كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ » (الذاريات:٥٢-٥٣).

ويستغلق الحقد في قلوبهم حتى يصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر، وقد جمع مع الشعر الجنون.

قال الله تعالى عنهم: « وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ » (الأنبياء:٣-٥).

وقال الله تعالى: « وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ » (الصافات:٣٦).

ثم يدفع القرآن هذه التهمة دفعًا قويًا، ويردها عليهم، قال الله تعالى: « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ » (يس:٦٩).

وقال الله تعالى: « فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (الحاقة:٣٨).

ثم اتهموه صلى الله عليه وسلم بالكذب، قال الله تعالى حكاية عنهم: « وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ » (ص:٤).

وتكرر المعنى نفسه في موضع آخر بلفظ آخر، وذلك قوله سبحانه: « أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ » (القمر:٢٥)، ويأتيهم الرد في سرعة باهرة في تهديد قاطع أنهم سيلقون عاقبة افترائهم يوم القيامة: « سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ » (القمر:٢٦)، ولا ينبغي للنبي أن ييأس أو يضجر أو يتولى عنهم فلا يدعوهم.

وقال الله تعالى: « قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ » (الأنعام:٣٣-٣٥).

وقال تعالى: «فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ» (الأنعام:١٤٧).

وهكذا آذوا النبي صلى الله عليه وسلم بكل ألقاب السوء والسخرية، ولم يقتصروا على ذلك فحسب بل آذوه بالأذى الفعلي.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبي عدو الله ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ» (غافر:٢٨).

ولما اشتد به الأذى صلى الله عليه وسلم من قومه خرج إلى الطائف رجاء أن يؤوه ويمنعوه من قومه، فلقي منهم أشد ما يلقى من أذى، وقالوا: أخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم يقفون له في الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، وشج رأسه.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، فَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ- عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ). قَالَ: (فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ولم يجد صلى الله عليه وسلم في أحب البلاد إليه ملجأ من الله إلا إليه، وصار ينظر أيمن منه فلا يرى إلا عدوًا متربصًا، وينظر أيسر منه فلا يرى إلا نصيرًا ضعيفًا، وينظر ورائه فلا يرى إلا سهامًا مصوبة على ظهره، وينظر أمامه فلا يرى إلا هزوًا وسخرية تتقيؤها أفواهٌ، وأشواكًا وحجارة موضوعة في طريقة، فنظر إلى السماء فوجد الرجاء كله، نورًا يمزق ركام الظلام الذي يحيط بمكة وما حولها، فتوجه إلى الله يسأله أن يجعل له ولأصحابه المستضعفين فرجًا ومخرجًا، وهو صلى الله عليه وسلم يرى أصحابه تهوي بهم قطعُ العذاب، وتأكل أجسادهم سياطُ العذاب، وقد امتد حبل هذا السلوك الشائن إلى المدينة بعد الهجرة، فأمسك المنافقون به بعد إفلاته من يد المشركين في مكة، وجعلوا يسخرون سرًا- وجهرة أحيانًا- من الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لا يحجزهم فزع من عذاب، ولا حرمة لجوار، فتشابه السلوكان والتقيا على طريق واحدة، ويصعد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد رحلة في الزمن، دامت ثلاثة وستين عامًا، حمل فيها هم الدعوة والأمة- وما أثقله حملاً- ويجتاز قنطرة الحياة، وهو أسعد ما يكون حالاً، وأرضى ما يكون نفسًا، أن خلف وراءه جيلاً من الحواريين، وساروا على أحسن ما كان عليه في حياته صلى الله عليه وسلم، فاستحقوا منه الثناء كله والتحذير للناس أن ينالوا من واحد منهم ولو بكلمة.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه». (مختصر مسلم: ١٧٤٦).

إذن فكل داعية لا بد أن يناله أذى ولكن عليه أن يصبر وأن يستمر حتى يفتح الله له، وليس من الضروري أن يفتح الله له في حياته، بل المهم أن تبقى دعوته بين الناس ناصعة متبوعة، ليس المهم الشخص ولكن المهم الدعوة ، قال الله تعالى: «أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا» (الأنعام:١٢٢).

ففي الحقيقة أن حياة الداعية ليس معناها أن تبقى روحه في جسمه فقط، بل أن تبقى مقالته حية بين الناس، اللهم صبرنا على العلم والعمل والدعوة إليك، إنك ولي ذلك والقادر عليه.



باب الفقه

الصلاةُ على رسول اللّه في الصلاة

الحلقة الأولى

(حكمها - ما يقال فيها)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد انتهينا في اللقاء السابق من الحديث عن التشهد في الصلاة، ونبدأ في هذا اللقاء بالحديث عن الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة.

إعداد/ د. حمدي طه

أولاً: مشروعية الصَّلاة عَلى النَّبيّ صَلّى اللّهُ عَليه وَسلّم:

- اعلم أخي القارئ أنه لاَ خلاَفَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي مَشْرُوعِيَّةِ الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، للأمْرِ بهَا، قال تعالى: «إِنَّ اللَّه وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» قَال ابْنُ كَثِير فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ: الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ: أَنَّ اللَّه- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِه وَنَبِيِّه عِنْدَهُ فِي الْمَلأ الأَعْلَى؛ بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ. ثُمَّ أَمَرَ جَل شَأْنُهُ بِالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ؛ لِيَجْتَمِعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْل الْعَالَمِينَ: السُّفْلِيِّ وَالْعُلْوِيِّ جَمِيعًا. (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٤٥٨).

وَقد جَاءَتِ الأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالأمْرِ بِالصَّلاَةِ عَلَيْه، وَكَيْفِيَّةِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ منها:

ما رَوَى الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ عن كعب بن عُجْرَةَ قال: قيل لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَال: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَل عَلَى مُحَمَّد، وَعَلَى آل مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّد، وَعَلَى آل مُحَمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (صحيح البخاري بَاب قَوْلِه «إِنَّ اللَّه وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»).

ثانياً: موضع الصَّلاة عَلى النَّبيّ صَلّى اللّه عَليه وَسلّم في الصَّلاة:

ليس في النصوص التي بين أيدينا نصٌّ واحد معتبرٌ عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صحيح أو حسنٌ يدل على تحديد مكانٍ أو موضع الصلاة الإبراهيمية للصلاة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. في الصلاة. أما ما درج عليه المسلمون من قول هذه الصلاة عقب التشهد الأخير، وأنّ كلمتهم قد اتفقت على ذلك، فإنه أمرٌ نُقل إلينا عملياً جيلاً عن جيل، فكان ذلك متواتراً. (الجامع لأحكام الصلاة لمحمود عويضة ٢/٢٨٥ بتصرف).

أما الصلاة علي النبي- صلى الله عليه وسلم- في التشهد الأول فلم يُتفق علي

مشروعيتها لا نظريًا ولا عمليًا وقد اختلفوا فيه فهي سُنَّةٌ في الْقَوْلِ الْجَدِيدِ للشافعيِّ فقد قال رحمه الله في «الأم» يصلى على النبي في التشهد الأول لكنه يستحب وليس بواجب، وقال في القديم لا يزيد على التشهد أَمَّا الْحَنَفِيَّةُ، وَالْمَالِكِيَّةُ فالصَّلاَةُ عَلَيْهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ عِنْدَهُمْ، وَبِهِ قَالَ الْحَنَابِلَةُ. (الموسوعة الفقهية الكويتية٢٧/٢٣٧ بتصرف)، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام علي حكم الصلاة علي النبي- صلى الله عليه وسلم -في الصلاة.

أما الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم - في الصلاة. عند الدعاء فقد قال العلامة ابن قيم الجوزية: «له ثلاث مراتب: إحداها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله تعالى.

والمرتبة الثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره.

والثالثة أن يصلي عليه في أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

فأما المرتبة الأولى: فالدليل عليها حديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عَجل هذا) ثم دعاه فقال له أو لغيره: (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء) رواه أحمد برقم ٢٣٩٨٢وإسناده صحيح (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ١/ ٣٧٥ بتصرف).

قلت: وأما المرتبة الثانية والثالثة: فلم يأت العلامة ابن القيم بحديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل لما ذهب.

أما الصلاة على النبي الصلاة عليه آخر القنوت في الوتر استحبه الشافعي ومن وافقه واحتجوا بحديث ضعيف ولذلك قال العز بن عبد السلام في «الفتاوى»: «ولم تصح الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في القنوت ولا ينبغي أن يزاد على صلاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيء، وهذا هو الحق الذي يشهد به كل من علم كمال الشريعة وتمامها وأنه (صلى الله عليه وسلم) ما ترك شيئًا يقربنا إلى الله إلا وأمرنا به.

قلت: ثم أطلعت على بعض الآثار الثابتة عن بعض الصحابة وفيها صلاتهم على النبي (صلى الله عليه وسلم) في آخر قنوت الوتر فقلت بمشروعية ذلك وسجلته في « تلخيص صفة الصلاة « (إرواء الغليل الألباني ٢/ ١٧٧).

وهو مستحب في قنوت رمضان ولا بأس من جعل القنوت بعد الركوع ومن الزيادة عليه بلعن الكفرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء للمسلمين في النصف الثاني من رمضان لثبوت ذلك عن الأئمة في عهد عمر رضي الله عنه فقد جاء في آخر حديث عبد الرحمن بن عبد القاري (وكانوا يلعنون الكفرة في النصف: اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ولا يؤمنون بوعدك وخالف بين كلمتهم وألق في قلوبهم الرعب وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق)، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمسلمين بما استطاع من خير ثم يستغفر للمؤمنين (قيام رمضان- الألباني ص٢٣).

وقد ساق العلامة ابن قيم الجوزية المواطن الَّتِي يستحب فيها الصلاة عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأوصلها إلى واحد وأربعين موطنًا ذكر ما صح منها أو قارب دون تفصيل:

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعند الخروج منه

الصلاة على النبي عند ذكره صلى الله عليه وسلم.

الصلاة عليه عند كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي عند الوقوف على قبره صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله تعالى.

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند تبليغ العلم إلى الناس عند التذكير والقصص والقاء الدرس وتعليم العلم في أول ذلك وآخره.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا والمروة وهذا من توابع الدعاء.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الفراغ من التلبية وهذا أيضا من توابع الدعاء.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند استلام الحجر.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند اجتماع القوم قبل تفرقهم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج الإنسان إلى السوق أو إلى دعوة أو نحوها.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام الرجل من نوم الليل.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الهم والشدائد وطلب المغفرة (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ١|٣٢٧ وما بعدها بتصرف).

ثالثاً: كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة:

ليست للصلاة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صيغة واحدة يجب الالتزام بها، ذلك أنه رُويت عدة صيغ لهذه الصلاة منسوبة لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- من طرق عدَّة عن صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، بل وردت عدة صيغ من طريق الصحابي الواحد، وهذه الطرق صحيحة وحسنة صالحة للاستدلال. كل صيغة منها تُجزئ وتكفي، فالمسلم بالخيار بين أيٍّ من هذه الصيغ.

ويستحب أن يستخدم هذه الصيغ تباعاً مع الوقت إن أمكنه ذلك، لصيب أجر تطبيق السنة في عمومها.

وسنبدأ بذكر الصيغ التي اتفق على روايتها الشيخان البخاري ومسلم.

١- من حديث ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». رواه البخاري بَاب قَوْلِهِ «إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»، ومسلم باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد وأحمد برقم ١٨١٣٠، وزاد البخاري لفظ «عَلَى إِبْرَاهِيمَ» في الجملتين في رواية أخرى.

وبلفظ البخاري الأخير أخرجه النسائي من حديث طلحة بن عبيد الله قال: قلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

٢- من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» رواه البخاري بَاب قَوْلِهِ «إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»، ومسلم باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد وزاد مسلم في روايته لفظ «علي»

قبل ذُرِّيَّته

وهذه جملة من الصيغ المأثورة الأخرى التي وردت ولم يتفق على إخراجها البخاري ومسلم أو لم يخرجاها:

٣- عَنْ أبي سَعِيد الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّه هَذَا التَّسْلِيمُ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ (قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد عَبْدكَ وَرَسُولكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إبْرَاهيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آل مُحَمَّد كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهيمَ، قَالَ أَبُو صَالح عَنْ اللَّيْث عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آل مُحَمَّد كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آل إبْرَاهيمَ حَدَّثَنَا إبْرَاهيمُ بْنُ حَمْزَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبي حَازم وَالدَّرَاوَرْديُّ عَنْ يَزيدَ وَقَالَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَآل مُحَمَّد كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهيمَ وَآل إبْرَاهيمَ) (رواه البخاري بَاب قَوْله «إِنَّ اللَّه وَمَلَائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبيِّ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِّمُوا تَسْليمًا» وأحمد برقم ١١٤٥١).

٤- عن أبي مسعود الأنصاري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم. رواه مسلم باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد

ولأحمد في لفظ آخر نحوه وفيه: (فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا).

ورواه أحمد بلفظ (فقولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) برقم ١٧١١٣.

وزاد أبو داود فَذَكَرَ مَعْنَى حَديث كَعْب بْن عُجْرَةَ زَادَ في آخره «في الْعَالَمينَ إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ».

٥- عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول (اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل بيته وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) رواه أحمد برقم ٢٣٢٢١ وجهالة الصحابي هنا لا تضر لأن الصحابة كلهم ثقات عدول.وهذه الصيغة أشمل وأطول صيغة في صيغ الصلاة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان الاختيار بين الصيغ السابقة جائز فهذا لا ينافي تفضيل بعض هذه الصيغ، فقد يكون التفضيل بالإسناد والأخذ بأقوى هذه الصيغ من حيث الإسناد. وهي بلا شك ما اتفق على روايتها الشيخان البخاري ومسلم، وقد اتفق الشيخان على الصيغتين الأوليين من هذه الصيغ العديدة فالأولى اختيار واحدة من هاتين الصيغتين، وقد يكون التفضيل بحسب جهة التبليغ قال العلامة الألباني: واعلم أن النوع الأول من صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم- يشير إلي حديث أَبي حُمَيْد السَّاعديِّ- وكذا النوع الرابع- يشير إلي حديث أَبي مسعود الأنصاري- هو ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (قلت: وكذلك حديث كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ وحديث أَبي سَعيد الْخُدْريِّ فقد وردت فيهما صيغة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على جهة التعليم)، وقد استدل بذلك على أنها أفضل الكيفيات في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأنه لا يختار لهم- ولا لنفسه- إلا الأشرف والأفضل (صفة الصلاة)، وقد يكون التفضيل بأكثرها اشتمالاً على الألفاظ فتكون الصيغة الأخيرة أفضل من هذا الوجه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدَّيْن

الحلقة الرابعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما يزال الحديث مستمرًا عن أمر الدَّيْن، وما يتعلق به من أحكام، ونكمل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي

الوقفة السابعة: بعض آداب قضاء الديون:

جاءت الشريعة بمحاسن الآداب في جميع المجالات، ومنها قضاء الديون، فحثت على جملة من الآداب منها:

أمر الدائن بحسن الطلب:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من طالبَ حقًا فليطلبْه في عفاف وافٍ أو غير وافٍ» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

الترفق بالدائن

«إن لصاحب الحق مقالاً»:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ابتاع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ من رجل من الأعراب جزورًا - أو جزائرَ- بوسقٍ من تمر الذَّخِرَة (وتمرُ الذَّخِرَة: العجوة)، فرجع به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ إلى بيته والتمسَ له التمرَ فلم يجدْهُ، فخرج إليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ فقال له: يا عبدَ الله، إنَّا قد ابتعْنا منكَ جزورًا -أو جزائرَ- بوَسَقٍ من تمر الذَّخِرَة، فالتمسْناهُ فلم نجدْه، قال: فقال الأعرابيُّ: واغدراهُ، قالت: فهمَّ الناسُ وقالوا: قاتلكَ اللهُ، أيغدرُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ؟ قالت: فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: دَعُوهُ، فإنَّ لصاحب الحقِّ مقالاً، ثم عاد رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ فقال: يا عبدَ الله، إنَّا ابتعنا منكَ جزائرَ ونحنُ نظنُّ أن عندَنا ما سمَّيْنا لكَ، فالتمسناهُ فلم نجدْه، فقال الأعرابيُّ: واغدراهُ، فنهمهُ الناسُ وقالوا: قاتلكَ اللهُ أيغدرُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ؟ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: دَعُوهُ، فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً، فردَّدَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ ذلكَ مرتينِ أو ثلاثًا، فلما رآهُ لا يفقهُ عنه قال لرجل من أصحابه: اذهبْ إلى خولةَ بنت حكيم بن أمية فقل لها: رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ يقولُ لكِ: إن كان عندَكِ وسقٌ من تمر الذَّخِرة فأسلفيناهُ حتى نؤدِّيَه إليكِ إن شاءَ اللهُ، فذهبَ إليها الرجلُ، ثم رجعَ فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسولَ الله، فابعثْ من يقبضُهُ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ للرجل: اذهبْ به فأوْفِه الذي لهُ، قال: فذهبَ به فأوفاهُ الذي لهُ، قالت: فمرَّ الأعرابيُّ برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ وهو جالسٌ في



أصحابه، فقال: جزاكَ اللهُ خيرًا، فقد أوْفَيْتَ وأطْيَبْتَ، قالت: فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ أولئكَ خيارُ عبادِ الله عندَ الله يومَ القيامةِ: الموفونَ المُطيبُونَ» «رواه أحمد وحسنه الألباني).

فانظر - راعاك الله - كيف ترفق النبي صلى الله عليه وسلم بالدائن ونهى أصحابه عن سبه، مبينا لهم أن لصاحب الحق مقالا.

جزاء السلف الحمد والأداء:

عن عبدالله بن ربيعة رضي الله عنه قال: «استقرَضَ منِّي النبيُّ صلى الله عليه وسلم أربعين ألفًا، فجاءه مالٌ، فدفعه إليه، وقال: باركَ اللهُ لكَ في أهلكَ ومالكَ، إنما جزاءُ السَّلَفِ الحمدُ والأداءُ.» (رواه النسائي وصححه الألباني).

الوقفة الثامنة: المفاضلة بين قضاء الدين وغيره:

كثير من المدينين لا يعلمون فقه أداء الدين، فتراهم يتساهلون في قضاء ديونهم فيؤخرونها حيث يحرم التأخير، ظنا منهم أن هذا جائز، أو يقدمونها حيث لا يجوز التقديم، ويعود هذا إلى عدم التفرقة بين الواجب والأوجب منه، والواجب وغير الواجب، وذلك على التفصيل الآتي:

١- قضاء الدين والضروريات:

الضروريات: هي النفقات الضرورية التي لا قوام للأسرة إلا بها، كالطعام والشراب واللباس والسكن، فلابد له من بيت يسكنه يواريه عن أعين الناس ويجعله في أمن من العادين والباغين، وطعام يحفظ به نفسه، وملبس للصيف والشتاء، وعلاج يحفظ به نفسه، وقد تتضمن أمورا أخرى لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا.

فإذا كان للإنسان مال يكفيه حاجاته الأساسية له ومن يعول، ويفي بقضاء دينه، فتقدم حاجاته الأساسية على قضاء دينه، فإن بقي شيء بعد الإنفاق على حاجاته الأساسية له ومن يعول، قضى دينه كله، أو بعضه.

والعلة في ذلك أن ضروريات الإنسان واجبة وقضاء الدين واجب، إلا أن ترك الضروريات يترتب عليه مفسدة عظيمة، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فيقدم الإنفاق على الضروريات على قضاء الدين.



٢- قضاء الدين والحاجيات والكماليات:

الحاجيات: وهي التي تُسهم في جعل الحياة أكثر راحة وتيسيرا، ومن البديهي أنها تأتي بعد استكمال المصروفات الضرورية.

الكماليات: وهي النفقات الزائدة عن حدود الضروريات والحاجيات، والإنفاق في هذه الأمور ليس واجبا، ومن ثم فإن الواجب تقديم قضاء الدين على الإنفاق عليها، وكثير من الناس تزل أقدامهم في هذه المسألة.

١- القناعة:

فإن المسلم لو قنع بحاله ومستوى معيشته، وعيشة الكفاف لا له ولا عليه، حتى لو كانت بسيطة جدا لم يتطلب أكثر من ذلك، ولحلت له هذه القناعة مشكلة الاستدانة، ولما لجأ إلى الدين، لكن الناس لا يقنعون، فينظرون إلى من فوقهم في المعيشة، والرسول صلى الله عليه وسلم يطلب من المسلم أن ينظر إلى من دونه في المعيشة، وإنما ينظر إلى من هو أعلى منه في الدين والورع والعبادة والتقوى، إذا أردت أن تنظر إلى الأعلى فانظر إلى صاحب الدين، وفي المعيشة تنظر إلى من هو أسفل منك حتى تحصل عندك القناعة، فلا تغتم وتهتم، وتلجأ إلى الدين.

٢- الزهد في الدنيا:

وكذلك من الأمور المهمة:

مفهوم الزهد في الدنيا، فلو زهد الإنسان في الدنيا ومتاعها، وزينتها، لما شعر بالدافع إلى التزود فيستدين، ولكن قد تقع الاستدانة لضرورة في مثل علاج ضروري لا يملك قيمته، أو مسكن وأثاث لطالب زواج يريد أن يعف نفسه، وهو يخشى على نفسه العنت والوقوع في الحرام، فلا يستطيع الزواج من المهر والتأثيث إلا بالاستدانة، هنا تكون استدانته وجيهة، ومع ذلك لا ينسى الوفاء، والبحث عن تجارات طيبة، أو صفقات فورية حلال يسدّد بها دينه والله قد تكفل لمن يريد الوفاء بصدق أن يعينه.

الوقفة العاشرة:

أدعية قضاء الدين:

المسلم مأمور بالأخذ بالأسباب وعدم الاعتقاد فيها، وعدم تركها، ومن أعظم الأسباب، الأسباب الشرعية، وأعظمها الدعاء، فهذه جملة من الأدعية الخاصة بقضاء الدين، والعامة بتفريج الكرب، التي تعين على قضاء الدين:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ! مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ؟ قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَمًا، إِذَا أنت قُلْتَهُ، أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي» (أخرجه أبو داود وضعفه الألباني)

٢- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، فَقَالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صَبِيرٍ دَيْنًا، أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ قُلْ: « اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» (أخرجه الترمذي وحسنه الألباني).



٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِمُعَاذٍ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْنًا لأَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قُلْ يَا مُعَاذُ: « اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ» (أخرجه الطبراني في الصغير بإسناد جيّد، وحسنه الألباني).

الوقفة الحادية عشر:

أثر الموت في قضاء الدين:

قال الشيخ وليد عكاس علي سيد، في رسالته للماجستير « قُرَّة العين في أحكام الدَّيْن »: «دلت الأحاديث على التشديد في أمر الدين، وأن نفس المدين محبوسة عن دخول الجنة ومرتهنة بهذا الدين حتى يقضى عنه دينه، ودلت على أن الموت لا يؤثر في سقوط ما على المدين بالنسبة لأحكام الآخرة، وإنما يكون الدين باقياً في ذمته حتى يقضى عنه، ولها حالتان:

أ- من مات وعليه دين وخلّف وفاء: فإنه لا وزر عليه إذا لم يقض عنه

بعد موته ؛ لأن التقصير حينئذ يكون من الوصي أو من الورثة،حيث إن جميع ما عليه من دين يتعلق أداؤه بتركته، ويستثنى من ذلك إذا فرط المدين الميت بالوصية بسداد ديونه وكتابتها ونحو ذلك، بحيث أن الورثة أو الوصي لم يهتدوا إلى هذه الديون، خصوصاً إذا لم يكن لدائنيه بينة على الدين، فإن هذا لا يعفيه أمام هذه الحقوق.

فعن سعد بن الأطول رضي الله عنه: «أنَّ أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردتُ أن أنفقَها على عياله، قال: فقالَ لي النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: إن أخاك مُحبَسٌ بدَينه فاذهَب فاقضِ عنهُ، فذهبتُ فقضَيتُ عنه، ثمَّ جئتُ قلتُ: يا رسولَ الله، قد قضيتُ عنه إلاَّ دينارينِ ادَّعتهُما امرأةٌ، وليسَت لها بيِّنةٌ، قال: أعطِها فإنَّها مُحقَّةٌ، وفي روايةٍ: صادقةٌ». (رواه أحمد وصححه الألباني).

ب- من مات وعليه دين ولم يخلف وفاء فلها صورتان:

الصورة الأولى: إذا كان الدين في معصية أو بنية عدم الوفاء. فإنه مؤاخذ عنه يوم القيامة ؛ لأنه غير معذور بالاستدانة ؛ ولأنه قصد استهلاك مال مسلم بغير وجه حق، وهذا من أكل أموال الناس بالباطل.

الصورة الثانية: إذا كان الدين في مباح وبنية الوفاء، فمن مات قبل الوفاء من غير تقصير منه، فإن الله عز وجل يقضي عنه دينه يوم القيامة فيعوض دائنيه فضلاً منه وتكرماً، وأما المدين فلا مؤاخذة عليه لعدم تقصيره أو تفريطه.

قال ابن حجر: «من مات قبل الوفاء بغير تقصير منه كأن يُعسر مثلاً... وكانت نيته وفاء دينه، ولم يوف عنه في الدنيا.... الظاهر أنه لا تبعة عليه والحالة هذه في الآخرة، بحيث يؤخذ من حسناته لصاحب الدين، بل يتكفل الله عنه لصاحب الدين» اهـ.

الوقفة الثانية عشر:

سداد الدين في حالة وفاة المدين:

إذا مات المدين ولم يخلف مالاً لسداد دينه، فيستحب لورثته، قضاء دينه:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أتى رجلٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال له: إنَّ أختي نذرت أن تحُجَّ وإنها ماتت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان عليها دَينٌ أكنتَ قاضيَهُ؟ قال: نعم، قال: «فاقضِ اللهَ، فهوَ أحقُّ بالقضاءِ» (أخرجه البخاري ومسلم).

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إلي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ! إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، أَفَأَقْضِيه عَنْهَا؟ فَقَالَ: «أرأيتَ لَوْ كَانَ على أُمِّكَ دَيْنٌ، أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى» (متفق عليه).

فإن لم عجزوا فإن وفاء دين الميت يكون من بيت مال المسلمين، وولي الأمر ولي من لا ولي له، وولي من لا وفاء له

فعن أبي هريرة رضيَ اللَّه عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا أوْلى بالمؤمنينَ من أنفُسِهم، فمنْ ماتَ وعليه دَينٌ ولم يتركْ وفاءً فعلَينا قضاؤُه، ومَن ترك مالاً فلوَرثتِه» (أخرجه البخاري).

وفى النهاية: لعلى أكون قد أبرزت للقارئ الكريم أهمية المسارعة إلى قضاء الديون، للسلامة في الدنيا والآخرة، فعلى كل مسلم أن يحرص على هذا، والله أسأل أن يعين المسلمين المدينين على قضاء ديونهم، وأن يغننا بحلاله عن حرامه، وأن يكفنا بفضله عمن سواه، آمين.



جماعة أنصار السنة المحمدية

انعقاد الجمعية العمومية العادية بالمركز العام

اجتمع مجلس إدارة المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بتاريخ ٣١ يناير ٢٠١٦م بالمركز العام (٨ ش قوله- عابدين)، وقد قرر المجلس دعوة الجمعية العمومية العادية للانعقاد عقب صلاة الظهر في الساعة الواحدة ظهرًا يوم السبت ٢ أبريل ٢٠١٦م للنظر في جدول الأعمال التالية:

١- مناقشة تقرير مجلس الإدارة عن عام ٢٠١٥م.

٢- عرض حسابات الإيرادات والمصروفات والميزانية العمومية لعام ٢٠١٥م.

٣- تعيين مراقب الحسابات عن عام ٢٠١٦م، وتحديد أتعابه.

٤- عرض الميزانية المقترحة لعام ٢٠١٦م.

٦- ما يُستجد من أعمال.

والله الموفق والمستعان.

الأمين العام

د. مرزوق محمد مرزوق

٠١١٢٠٠٠٥٥٧٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٦٦٠



بشرى سارة
معرض مجلدات مجلة التوحيد
مفاجأة كبرى
موسوعة مجلة التوحيد (كرتونة المجلدات ٤٤ سنة كاملة بـ٥٠٠ جنيهاً بدلاً من ٨٥٠ جنيهاً)
مفاجأة:
اشتراك سنة مجانًا بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
الكمية محدودة والعرض سارٍ حتى نفاد الكمية.
مفاجأة:
يمكنك الدفع عند الاستلام عن طريق مكتب الشحن.
ويمكنك الشراء وإرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.
التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٤ مجلداً
٤٤ عاماً
المعرض مفتوح يوميًا بالدور السابع بالمجلة
للاستفسار يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد: 23936517
صدر حديثاً المجلد الجديد لعام ١٤٣٦ هـ